سلسلة لقاءات

التقوى

أ. أناهيد السميري

ألقيت في شوال ١٤٣١ هـ

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

اللقاء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
نحمده–سبحانه وتعالى–أن أمدَّ في الأعمار، وأن فتح أبواب الطاعات، ونسأله–سبحانه وتعالى–كما يَسَّر أبواب الطاعة وبالذَّات باب العلم نسأله–سبحانه وتعالى–أن يجعل هذه الأبواب التي فتحها سببًا لرفعتنا، وكما يسَّر لنا الصيام والقيام، نسأله–سبحانه وتعالى–أن يقبله، وكما يسَّر لنا قضاء شهر رمضان في طاعته، نسأله أن ييسِّر لنا قضاء باقي أعمارنا في طاعته، وأن يحسن لنا الخاتمة وأن يجعلها على توبة وشهادة؛ نتيقَّن بها بلقائه من غير ضرَّاء مضرَّة ولا فتنة مضلَّة. اللهم آمين.

أذكِّركم **بعبادة الشكر**، فإن النِّعم تزيد وتدوم وتستقرّ بالشكر، وإذا شعرت أن العلم نعمة، زاد الله لك هذا الباب من حيث لا تحتسب، فتصبح بدلًا من أن تتعلَّم ساعة في الأسبوع أو ساعتين أو حتى ثلاث، تُفتح لك أبواب العلم مِن كل جهة وفي كل وقت.
ثم إن مِن بركات الشكر أن ينتفع الإنسان بما رُزق، فليس كل من رُزق شيئًا انتفع به، فإذا كنت شاكرًا للنعمة، اعلم أن الشكر طريق للانتفاع بالنعمة، والعلم مِن أعظم النِّعم، والانتفاع به ليس لكل أحد، فأنتم من المؤكَّد أنكم ترون كثير من الناس عندهم علم، لكن لا يؤثِّر هذا العلم على حياتهم وسلوكهم، وتفكيرهم، وقربتهم، وانتفاعهم بأوقاتهم، فلا يكفيني مجرَّد العلم، لابد أن يكون علمًا مباركًا.
مَنْ الذي ينزِّل البركات على العلم، وعلى الحياة وعلى كل شيء؟ لا ينزلها إلا مَن تبارك اسمه وتعالى جدُّه.
نسأله–سبحانه وتعالى–أن يجعلنا من الشاكرين لهذه النِّعمة ولكل النِّعم، وأن يجعل هذا الشكر سببًا لزيادة هذه النِّعم–وبالذَّات نعمة العلم–وأن يجعل العلم علينا مباركًا، وأن يجعلنا مباركين أينما كنَّا، فلا زال اللسان يلهج بحمده سبحانه وتعالى، والثناء عليه أن يسَّر لنا مِن جديد أن نلتقي من أجل أن نتعلَّم، نسأله–سبحانه وتعالى–أن يبارك لنا، وأن يحفظ علينا هذه النعمة، وألَّا يحرمنا بذنوبنا، اللهم آمين.

سيكون موضوعنا الكلام عن (التقوى)، هذه الكلمة العظيمة نسمعها دائمًا، ونُؤمر بها، ونأمر بها، فنحن نسمع كلمة التقوى، وإذا رأينا نوعًا مِن المخالفة نقول: اتقِّ الله، ونحن يقال لنا: اتَّقوا الله، فما هي هذه التقوى العظيمة التي هي شعار أهل الإيمان؟
لك أن تتصوَّر مكانة هذه التقوى، التقوى شعار أهل الإيمان، فما التقوى التي هي شعار أهل الإيمان؟
سنقرأ كلامًا لأهل العلم، لكن كأنك تقول إن هذه تعبيرات حول معنى عظيم يصعب إتقان التعبير عنه، لماذا يصعُب إتقان التعبير عنه؟ فلو سألتك عن التقوى، أين مكانها؟

كما قال النبي–صلى الله عليه وسلم–أشار إلى صدره وقال: ((التَّقْوَى هَا هُنَا))[1]، فعندما يكون مكان التقوى القلب، هل الفعل القلبي وصفه أمر يسير؟

لا، توصيف العمل القلبي ليس بالأمر اليسير، سواء ما يحبُّه الله من الأعمال القلبيَّة أو ما يبغضه الله، فنحن كانت علَّتنا لسنين ونحن بعيدون عن باب الله في ماذا؟

أن قلوبنا لم يكن لها مكانها عندنا، وكنا نتصور أن التعامل مع الله على الظاهر، مع أنَّ في مناهج المملكة حديث: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))[2]، فهذا من أول الأحاديث التي يحفظها الطلاب، وحديث ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))[3]، مِن أول الأحاديث التي تُحفظ عند الطلَّاب، ومع ذلك لم تكن أعيننا ملتفتة إلى قلوبنا، فعِشنا نوعًا من الغفلة، نسأل الله أن يغفر لنا ما مضى.

معنى ذلك أنك عندما تنظر إلى ما يحبُّه الله في القلب وما يبغضه الله من الأفعال، وتسمعها، وتريد أن تعرف هل أنت من أهل الأفعال التي يحبها الله؟ أو هل أنت من أهل الأفعال التي يبغضها الله؟ تجد أنَّ مقياسنا ضعيف فيها.

مثلًا: الكِبْر، هذا الداء العظيم الذي تكفي منه مثقال ذرة لمنع الإنسان من دخول الجنة! هذا الكبر كم سمعنا عنه؟ كم خِفْنا منه؟ ومع ذلك لم نعرف تشخيصه بداخل قلوبنا، لدرجة أنه عندما يتكلَّم أحد عن الكبر، أتصوَّر أنني في جهة والكبر في جهة أخرى! لكن لو شخَّصت لك الكبر، فقلت لك: ((الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[4]، ثم نشرح ما معنى غمط الناس تفصيلاً؛ أي أن إنسانًا يرى أنه ليس لأحد حقٌّ عليه، فيَمُرُّ على المسلمين، أليس مِن حقوقهم السَّلام مثلًا؟ فهو يمرُّ عليهم ولا يتحرَّك قلبه تجاه حقِّهم، وهذه هي القيمة المفقودة العظيمة، وهي (قيمة احترام الحقوق)، نجد هذه القيمة تتناقص كل يوم، وعندما تسمع عن قيمة الاحترام نتصوَّر أن قيمة الاحترام فقط أن أحدًا يكلِّمني ولا يحترمني. لا، قيمة الاحترام لو أردت أن توسِّعها ستجد أن لها مجالات واسعة:

- فكلمة الاحترام في حقِّ الله اسمها (تعظيم الله).
- وقيمة الاحترام في حقِّ النبي–صلى الله عليه وسلم–اسمها (توقير النبي–صلى الله عليه وسلم–).
- وقيمة الاحترام في حقِّ الصحابة الكرام (محبَّتهم، والثَّناء عليهم، وذكر كل ما يطيِّب الخاطر عنهم).
- وقيمة الاحترام للوالدين تسمَّى (برُّهم).
- وقيمة الاحترام للإخوان تسمَّى (الأخوَّة).
- وقيمة الاحترام للممتلكات وللطرق وللشوارع، كل هذا له قيمة احترام.

ومن آثار قيمة الاحترام للممتلكات؛ أن تعتقد أنها أمانة، إلى أن تصل إلى أنك تحترم الطريق بأن تتقرب إلى الله بأن تميط الأذى عن الطريق، إلى هذه الدرجة هذا شخص محترم.

---

(1) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب/ باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ/ 6706).

(2) رواه البخاري (كِتَاب بَدْء الْوَحِي/ 1).

(3) رواه البخاري (كتاب بدء الوحي/ باب فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ/ 52)، ومسلم (كتاب المساقاة/ باب أَخْذِ الْحَلاَلِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ/ 4178).

(4) رواه مسلم (كتاب الإيمان/ باب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ/275).

فما هو الكبر بعد هذا الكلام كله؟ أن تعتقد أن ليس لأي شيء من هذا حق، فلا أنت معظِّم لله، ولا أنت موقِّر للنبي-صلى الله عليه وسلم-وكلامه، فنحن للأسف أصبحنا نسمع من شبابنا وشاباتنا كلامًا على كلام-النبي صلى الله عليه وسلم-لا تستطيع أن تسمعه، فضِدُّ الكبر: أن تكون لله معظِّمًا، ولنبيِّه موقِّرًا، والكبر أن تفقد التَّعظيم لله تعالى، وأن تفقد التوقير للنبي-صلى الله عليه وسلم-، وأن تفقد سلامة الصدر للصحابة، إلى أن تصل إلى أنك تمرُّ على ما في الطريق من أذى فتستكبر عن إماطته!

لكن هناك أشياء تستقذرها، تستقذر مختلف عن تستكبر، فتستقذر؛ هذا يكون أمرًا لا تستطيعه ونفسك لا تقبله، أي أنه قذر، فهذا لا علاقة له بالتَّكبر، لكن هناك أمور تقول عنها: وما شأني أنا؟ الأمر لا يخصُّني، والمشكلة أننا لا نقول لك أمط أذى الآخرين، نقول: أمط أذاك أنت الذي تركته للخلق، فكم في المطارات وفي غيرها الناس يستمتعون بما يأكلون ويشربون ثم ليس لهذه الطاولة مثلًا أو لهذا الكرسي حقها عندهم؟ تترك كل شيء مكانه! فنقول: هؤلاء ما تعلموا النظافة! لا، بل نقول إن هؤلاء ما تعلَّموا احترام الدين، في قلوبهم شيء من الكبر غير المحسوس، ونحن نتكلَّم عن الناس الذين يكون ظاهرهم مرتَّب وأحوالهم جيِّدة، ثم في النهاية يقومون عن الطاولة وهي شيء لا يوصف، ولا أتكلَّم عن شخص آتٍ من البادية ولا يعرف، هذا قد لا يعرف ماذا يجب أن يكون، لكنني أتكلَّم عن شخص يعرف ماذا يجب أن يكون، فلماذا البنت التي في المدرسة مثلا تمسك بآلة حادة وتتلف طاولتها؟ ما العدوانية التي تحملها في قلبها؟ هذه القيمة ليست موجودة؛ قيمة احترام الممتلكات واعتبار أنها أمانة، وأنني سأقف بين يدي الله أُسأل عنها، أتعتقد أن الناس سائرون وليس وراءهم شيء؟! لا، بل أعدِّ لكل سؤال جوابًا، إلى أي درجة تعاملت مع كل ما ملَّكك الله كما يحب الله؟

وهذا كله حتى أناقش كبيرة الكبر، فستجد أنها تدخل في أشياء لا تمرُّ على خاطرك، ومن هنا أتتنا المشكلة.

إذًا مشكلتنا أننا عندما نتكلَّم عن العبادات القلبية وعكسها الأمراض القلبية، نجد أن المسألة واسعة يصعب النقاش حولها، فتستلزم منَّا زمنًا طويلًا من أجل أن نأتي على هذا المفهوم من كل جوانبه، فالكبر كان مجرَّد مثالًا.

أذكر بعض كلام أهل العلم، وهذا غيض من فيض، فكوني أستطيع أن أجمع كلام أهل العلم حول التقوى هذا أمر بعيد، لكن سأذكر بعض كلامهم تكون فيه إشارات، ثم أفهم ما العمل الذي يجب أن أقوم به في قلبي لأكون شخصًا متَّقيًا.

- **نبدأ بمعنى التقوى عند كلام أهل العلم.**

قال طلق بن حبيب: "التقوى: أَن تَعْمَل بِطَاعَة اللَّه، عَلَى نُور مِن اللَّه، تَرْجُو ثَوَاب اللَّه، وَأَن تَتْرُك مَعْصِيَة اللَّه، عَلَى نُور مِن اللَّه، تَخَاف عِقَاب اللَّه".

نرى المفاهيم الثلاثة في تعريف طلق بن حبيب، وهذا تعريف كثير من العلماء اعتنوا به.

- **العامل الأول:** العمل، أن تعمل أو تترك،

تعمل بطاعة الله وتترك معصية الله، فالتقوى فيها عمل وفيها ترك.

- **العامل الثاني:** العلم، أن يكون عندك علم، فما معنى نور من الله؟ علم.
- **العامل الثالث:** ترجو وتخاف.

(ترجو وتخاف) عبارة عن ماذا؟ سيكون في قلبك،

أي سيكون عندك خوف ورجاء، وهو ما نسمِّيه

بركائز العبودية، نسمِّي الخوف والرجاء والمحبَّة ركائز العبوديَّة، أي أن تصل إلى حال أن تعمل بطاعة الله، وأن تترك معصية الله، هذه هي النتيجة الأخيرة، هذه هي التقوى، أن تعمل بالطاعة وتترك المعصية، لكن ليس كل عمل بالطاعة أو ترك للمعصية يسمى تقوى.

- **العامل الأول: العلم**

هذا أهم عنصر وهو الأساس الذي أبدأ به؛ لأنك لا تستطيع أن تتَّقي إلا وأنت تعلم، تعلم ماذا ستتَّقي، فالشخص عندما يتَّقي شيئًا فماذا يفعل؟ يتجنَّبه.

مثلا: ستخرجين من الباب، ثم تكادين تصطدمين به، فيمكن أن يقال لكِ: اتَّقي الباب، أي تجنَّبيه لا تصطدمي به، فأنتِ من أجل أن تتَّقي ما يضرّكِ لا بد أن تعلمي ما يضرّكِ.

مثال آخر: تصوَّري أن هذه القاعة تدخلينها لأول مرة، وكانت مظلمة، ولا تعرفين ماذا يمكن أن تواجهي من الباب إلى النهاية، حتى أنكِ لا تعرفين أين هي النهاية، فكم ستتخبَّطين وتتألمين، وتقعين؟ وتحتاجين إلى وقت طويل لتحسِّني السير جيدا، ولو أحسنتِ وسرتِ في الظلام لن تعرفي كيف تعودين للمكان الذي تريدين الخروج منه، وهكذا الشخص عندما يفقد العلم، تكون الحياة كالغرفة المظلمة لا يعرف ما الشيء الذي يبتعد عنه، والشيء الذي يقترب منه، فيكون مثلًا هذا المحبوب شيء أغراه، يمسكه فيجده ليِّنًا في الظلام، فيشعر أنه يمكن أن يصلح لأن يكون وسادة يتكئ عليها، ثم عندما يشعل النور يجده فأرًا! فهكذا عندما لا يكون عندك علم، تتصوَّر أن هذا الشيء الذي أتاك جميل ورخو، فعندما يأتي العلم يكشف لك الحقيقة مثل النور، فتكتشف أن هذا الشيء كاد أن يهلكك.

لذلك أنت لا تستطيع أن تتَّقي، وتبتعد عمَّا يضرُّك إلا عندما يكون عندك علم، فأول التقوى علم من أجل التقوى، فأهم شيء هو ماذا تريد من العلم؟

فقد يكون مقصدك من العلم الدرجات العلميَّة، وقد تكون مجتهدًا ومقدمًا الأبحاث من أجل أن تحصل على حرف (د) أو (أ).. إلى آخره، أو من أجل أن تنجح في الاختبارات وتمضي-نسأل الله أن يغفر لنا-، كان يُعرض علينا ونحن نتعلَّم أنواع التوحيد كلها، فلو كان المرء واعيًا لانتفع منذ ذاك الزمان، وهذا لا يمنع أنه كانت هناك عوامل أخرى مثل المعلِّمين، كانوا سببًا، لكن حتى وإن كان المعلِّمون، كانت الكتب موجودة، والمناهج موجودة إن كان هناك من يريد الحق، لكن لأن كل التفكير هو أُدرس من أجل أن تنجح، من أجل أن تتخرَّج من الجامعة، كل هذه المنظومة التي لا نهاية لها، التي أفسدت حياتنا، ثم في النهاية تخرَّجنا، ومرةً واحدة تصوَّرنا أننا وصلنا، حتى أننا لو وُصفنا، لوُصفنا بأنَّا كال(بسكوتة)،

أرأيت كيف هو شكل (البسكوتة)؟ مرتَّبة وجميلة، لكنها هشَّة، وأقل شيء يكسرها، فهذه هي حالنا، إلى أن نبَّهنا الله إلى العلم، إلى أن تبيَّن الأمر بأنه لا يصح ذلك، بل أنت مع كل الذي تحفظه لكن هناك مقصد خاطئ بداخل قلبك وأنت تتعلَّم؛ لذلك لن تحل عليك بركات العلم. لن تحل عليك بركات العلم إلَّا إذا كنت **تتعلَّم لأجل التقوى**.

إذًا العنصر الأول الذي به تتشكَّل التقوى هو العلم، لكن ليس أي علم، حتى وإن كنَّا نتكلَّم عن العلم الشرعي، ليس أي علم شرعي، بل علم أنت تتعلَّمه من أجل أن تتَّقي، فكلَّما سرت في مكانًا وسرت خائفًا، عليك أن تُحصِّل نوعًا من العلم من أجل أن تتَّقي الخطر، ومن أجل أن تفعل الصواب.

تصوّر أنك تريد أن تبيع ذهبًا، وتريد أن تشتري ذهبًا جديدًا، وهذا موقف بسيط قد يمارس من النساء كثيرًا، ولديك مؤشر يقول: إن هذا الباب لابد أن أسال عنه قبل أن أذهب، ثم جارتكِ تقول لكِ: هذا بيع وشراء وربنا حلَّل البيع، فتذهب والبائع يبايعك بيعًا غير صحيح في الذهب، وهو بيع التبادل؛ بمعنى أنك تختار ما تريد شراءه أولًا ثم كأنكم تبادلتم، وهذا بيع محرَّم، والمفروض أنك تبيعه في مجلس وتقبض، ثم حين تقبض مالك تشتري ما تريد، فالذي ينظر إلى الأمر من الخارج وليس عنده تقوى يقول: إن الأمر سِيان. لا، ليس سِيان، فعندما تمارس المسألة تفهم ماذا يعني أنه ليس سِيان، فأنت مالك لديك ثم بعد ذلك تَصَرَّف كما تريد، الحق لك، وهذا أمر مختلف عن المبادلة، ودون أن نتكلَّم عن المصالح في هذا البيع، يكفي أن الشريعة أمرت بهذا.

فالآن التقوى تأتي من قبل، وهناك مشاعر في الداخل أن هذا الباب يمكن أن يكون سببًا لزلَّة القدم، وجارتكِ تقول لك: لا تعقِّد المسألة، ولا توسوس! فالذي يُحرم من نور العلم يدخل في ظلمة اللامبالاة.

لو قلت: **ماذا يقابل التقوى في سلوك الخلق؟**

شخص متَّق، فما الذي يقابله؟ شخص غير متَّق، وكيف تعبِّر عن هذا غير المتَّقي؟

أرأيتِ عندما يكون أحد أبنائي محافظًا على أغراضه ومُرتِّبا، ويحفظ أقلامه من أن تضيع، وآخر غير مبالٍ، وكل شيء عنده كما اتَّفق، ليس لديه تفكير، فأنت إمَّا أن يكون معك نور العلم، وهذا لو كان علمًا من أجل التقوى سيسبِّب لك التقوى، وإمَّا أن تكون لا باليًا، كل شيء كما اتَّفق ولا تفكِّر، بل إن اللاّمبالي يرى المتَّقي موسوسًا؛ ولهذا لابدَّ وأنت متّقٍ أن تكون قدمك راسخة، حتى لا يأتيك أحد فيقول لك: أنك موسوس. فتشعر بمشاعر أنك موسوس.

هذا هو العامل الأول، وهذا العامل يحتاج إلى تفصيل وسيأتينا إن شاء الله خلال الكلام.

- **العامل الثاني: ترجو وتخاف.**

شخص تعلَّم، والعلم إذا كان من أجل التقوى سيورث العبد محبَّةً لرضا الله، أي: أنك ستتعلَّم من أجل أن تتَّقي ما يسخط الله عليك، إذًا العلم هذا أورث في قلبك محبَّة الله، فستكون دائمًا راجٍ في سلوكك أن يرضى الله، وخائفًا من سخطه عليك، أرأيت عندما تُحب أحدًا؟ يكون كل همّك ألَّا يغضب عليك، وتحمل همَّ سخطه، وفي نفس الوقت يكون في قلبك رجاء قوي أن يحبك، ولمَّا يقال لك: لو ذكرته ذكرك، ولو أثنيت عليه أثنى عليك في الملأ الأعلى، ولو عاملته ربحت، فيزيد شوقك أن تذكره ليذكرك، وأن تثني عليه ليثني عليك في الملأ الأعلى، وأن تعامله فتربح من معاملته، فيبقى عندك واحد فقط تدُورين في فَلَك رضاه.

هذا هو المفترض أن يكون أثر العلم؛ أثر العلم الذي تريد به التقوى هو أن يقع في قلبك الحب له، وطلب معاملته، ويبقى تفكيرك كلَّه في رضاه.

إذًا ما هو هذا العلم؟

هو علم التوحيد، وبالذَّات علم الأسماء والصفات، الذي تأتي من ورائه كل العلوم، فهذا العلم بالذات يورثك التقوى، فلو تعلَّمت العلم الذي يجعل قلبك لواحد، ولا يتشتَّت قلبك عن هذا الواحد، بعدها سيقع في قلبك أنك تريد أن تتعلَّم كيف تتصرَّف مع هذا الواحد، كيف ترضيه، من عند دخولك إلى الخلاء إلى عند بيعك وشرائك، كل هذا لأنك تريد أن تتصرَّف بالصورة التي ترضيه، لماذا؟ لأن قلبك دائرٌ حول رضا واحد.

وكثير منكم جرَّب هذه التجربة، تعلَّم أشياء كثيرة، ودخل دورة فقه، وتجويد، ومع ذلك القلب يسير إلى الخلف وليس إلى الأمام، وتجدنا نقول كلامًا جميلًا، ونفتح الكتب ونفسِّر للناس الآيات، لكن هناك شيء في الداخل غير موجود، تشعر أنك ريشة في مهبِّ الريح! تشعر أن أي شيء يمكن أن يشكِّلك، إلى أن رزقنا الله بالعلم عنه، إلى أن بدأنا نفهم أن هناك شيئًا اسمه العلم عن الله، إلى أن فهمنا باب الأسماء والصفات.

وأنا أسأل الناس الذين جرَّبوا: هل ترون صحة هذه الجملة:

نقطة التحول في معاملة القلب مع الله مبنية على العلم عنه؟

نعم، نحن قبل أن نعرفه، كنَّا نتعامل معه-سبحانه وتعالى-، لكن لم يكن هناك هذه الكلمة الخفيَّة (التقوى)، ولا يوجد محاولات في الداخل، هل هذا يصلح أو لا يصلح، هل يرضيه أو لا يرضيه، لم تكن توجد هذه المحاورات، لكن كأنَّ خطًّا رُسم لك، وقيل لك: صلِّ، صُمْ، افعل، وسِرْت فيه، لكنك تشعر أن بدنك يسير وقلبك يسير إلى الوراء، فبدنك يقوم الليل ويصوم النهار ويفعل كل شيء، لكن قلبك إلى الوراء، في المقابل حين تعرف الله، وإن كان القلب يسير ببطء لكن على الأقل يسير في نفس الاتجاه، أي: أنك لا تجد بدنك يسير للطاعة وقلبك يسير إلى المعصية !

فأصبح القلب يسير مع البدن وإن كان البدن قد يكون أسرع من القلب، وقد نركع ونسجد، ونركع ونسجد في التراويح وما وجدنا قلوبنا إلَّا في أول ركعة، أو آية مُعيَّنة، أو تسبيح معين، أو دعاء معين، لكن المهم أن القلب يسير في نفس الاتِّجاه.

إذًا كم عامل لدينا يسبِّب التقوى من كلام طلق بن حبيب؟ ثلاثة عوامل:

1. أن تعمل وتترك.
2. أن تتعلَّم.
3. أن ترجو وتخاف.

قلنا: إن العامل الرئيسي الذي يأتي ببقيَّة العوامل هو (نور من الله)، وانظري لتعبيره، وَصف العلم بأنه نور من الله، وهو كذلك، فأنت عندما تتعلَّم عن الله تجد كأن نارًا اشتعلت في القلب فأنارت، فترى كل شيء على حقيقته، فكلَّما زاد هذا العلم زادت قوة النور والإضاءة ومعرفة الأشياء على حقائقها.

بعد هذا العلم تأتي المحبَّة، والمحبَّة إن وجدت أتى الرجاء والخوف، فالعلم عن الله يأتي بالمحبَّة، وعندما تحب أحدًا وتدور في فلك حبه، ما الذي سيخرج منك؟ تخاف أن يغضب، وتخاف أن يسخط، وكل تفكيرك هو أن تعمل الأعمال التي يبقى بها راضٍ عنك، وأخشى ما تخشاه أن يبغضك، وفي الجهة الأخرى تبقى راجيًا أن تذوق أثر رضاه عليك، فالعلم الذي هو علمٌ عنه-سبحانه وتعالى-يورث في قلبك المحبَّة، والمحبَّة تأتي بالأمرين: بالخوف والرجاء، فإذا خفت أن تسقط وألَّا يرضى عنك تركت معصيته، وإذا رجوت أن يُقبل عليك وأن تذوق برد رحمته عملت بطاعته.

فعلى ذلك دارت التقوى في أصلها على **العلم**، ثم أن هذا العلم هو النور، وهذا العلم يورثك المحبَّة، وإذا أتت المحبَّة خرج من المحبَّة شعوران: الخوف والرجاء، هكذا عبّري عن الخوف والرجاء أنه هو الذي يأتي من المحبة، تخاف من ماذا؟

أي محبوب تخاف أن تغضبه، فهذا في كلامنا نحن، ففي حق الله أنت تخاف أن يسخط عليك، وأن يغضب عليك، وأي محبوب تحبه فأنت ترجو وَصْلَه، فإذا أحببت الله كان في قلبك رجاء وصله، رجاء عطائه، ترى بَرد رحمته، فهذا كله يجعلك ترى العلم هو منطلق المحبَّة، والمحبَّة تأتي بالخوف والرجاء، والخوف يأتي بترك ما يسخط الله، والرجاء يأتي بعمل ما يحب الله، هذا هو تعريف طلق بن حبيب.

كيف تأتي هذه التقوى من العلم؟

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-:

"وَقَدْ رَكَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْإِنْسَانِ نَفْسَيْنِ: نَفْسًا أَمَّارَةً وَنَفْسًا مُطْمَئِنَّةً، وَهُمَا مُتَعَادِيَتَانِ، فَكُلُّ مَا خَفَّ عَلَى هَذِهِ ثَقُلَ عَلَى هَذِهِ، وَكُلُّ مَا الْتَذَّتْ بِهِ هَذِهِ تَأَلَّمَتْ بِهِ الْأُخْرَى، فَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ أَشَقُّ مِنَ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَإِيثَارِ رِضَاهُ عَلَى هَوَاهَا، وَلَيْسَ لَهَا أَنْفَعُ مِنْهُ، وَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ أَشَقُّ مِنَ الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ دَاعِي الْهَوَى، وَلَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ أَضَرُّ مِنْهُ، وَالْمَلَكُ مَعَ هَذِهِ عَنْ يَمْنَةِ الْقَلْبِ، وَالشَّيْطَانُ مَعَ تِلْكَ عَنْ يَسْرَةِ الْقَلْبِ، وَالْخُرُوبُ مُسْتَمِرَّةٌ لَا تَضَعُ أَوْزَارَهَا إِلَّا أَنْ يُسْتَوْفَى أَجَلُهَا مِنَ الدُّنْيَا، وَالْبَاطِلُ كُلُّهُ يَتَحَيَّزُ مَعَ الشَّيْطَانِ وَالْأَمَّارَةِ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ يَتَحَيَّزُ مَعَ الْمَلَكِ وَالْمُطْمَئِنَّةِ، وَالْحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَالٌ، وَالنَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَمَنْ صَبَرَ وَصَابَرَ وَرَابَطَ وَاتَّقَى اللَّهَ فَلَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى حُكْمًا لَا يُبَدَّلُ أَبَدًا: أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى، وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ"[1].

كلَّما تعلَّمت أحدثت لنفسك **طاولة حوار في قلبك**، فأنت من غير علم تسير، وعندما يأتي العلم ماذا يحدث؟ يُصبح هناك حوارًا، حوار بين ماذا وماذا؟ بين العلم الذي أتاك وما تحمله في قلبك.

فما أحمله قد يكون بسبب تجربة، أو ما أحمله قد يكون بسبب مجتمعي، فالناس يفكِّرون هكذا وأنا أخذت منهم، وما أحمله قد يكون بسبب طبعي، هذا كله ما أحمله، العلم يأتي منه نَصّ، والنص يصبح له تحاور.

تحاور مع ماذا؟ أين مكان مأدبة الحوار؟

مأدبة الحوار مكانها في قلبك، على طرف يوجد النص الشرعي، وعلى طرف آخر يوجد ما أتيت أنت به، ثم يصبح بينهما حوار، فالذي أتيت به، من أين أتيت به؟

(1) الْجَوَابُ الْكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنْ الدَّوَاءِ الشَّافِي، لابن قيم الجوزية.

قد يكون طبعك، وقد يكون موروثات اجتماعية، وقد يكون تجارب مررت بها، قد يكون هواك، وقد يكون ما تحمله من قناعات وأحيانا من طبع، **وهو يمثِّل الهوى**، لكن أحيانا لا أعلم أنه هوى، فأتصوَّر أن كلامي منطقي، ففي العادة الناس لا يفهمون هواهم، وهذا كله الذي فيك يحرِّكك، لكن عندما يأتي العلم ويكون يقينيًا، ويصبح هناك حوار، يغلب ويكون هو المحرِّك لك.

مثال: من جهة العلم والنص، يقول فيه-النبي صلى الله عليه وسلم-: ((الْحَمْوُ الْمَوْتُ))[1]، هذا علم، قرَّر أن الحمو وهو أخو الزوج أو أقاربه من جهة الرجال، أي: الرجال الذين يدخلون البيت من جهة الزوج، حَكَم النبي-صلى الله عليه وسلم-بأنهم (الموت)! هذا هو حكم النبي-صلى الله عليه وسلم-، هذا هو العلم، نأتي لما نحمله، وهنا اسأل ولا حرج فيما يحمله الناس، إمَّا أن تقول لكِ إحداهنَّ: أنا دخلت البيت وهو صغير وتربَّى عندي-هذه هي التجربة-، أو تقول لكِ: النظافة في القلب، فلو كان قلبك نظيف لا تذهب عينك هنا أو هناك، أو تقول: هذا أخوكِ ولا تُعَقِّدوا الدنيا، ومجموعة من الموروثات، وإمَّا لا هذا ولا ذاك، ولكن يقول لكِ أحدهم: أنا شخص أعرف نفسي، وأثق في نفسي، أو إحداهنَّ تقول لك: أنا أعرفه تمامًا وأنا ربَّيته، كل هذا ما تحمله في داخلك، والنص يقول: (الحمو الموت)، هنا يصبح نقاش في القلب، هذا في القلب، **وهذا الحوار اسمه جهاد**.

1. إن خرج بنتيجة توافق الشرع أصبح اسمه **تقوى**.
2. إن خرج بنتيجة لا توافق الشرع أصبح اسمه **هوى**، أي أنه ما اتَّقى بل تابع هواه.

على ذلك الحوارات التي تحصل لا تتجاهلها، ولا تغمض عينك عنها، فمشكلتنا أنه يحصل حوار فأقطع على القلب الحوار، وأعمل كما يحلو لي وانتهى الأمر! عندما أعمل ما يحلو لي وما يخطر على بالي-ولا تنسى أن هذا الحوار أيضًا تأتيه عوامل وضغوط خارجية، أن هناك أحد يُلح عليك قائلًا: كفى، لا تعقِّد المسألة-مباشرةً ينغلق النص في داخلك، وبدلا من الضغوط الخارجية هناك ضعف بداخلي، فأتخذ قرارًا وأنا ضعيفة الإيمان، أو وأنا منهكة القوى، لا أنكسر بين يدي الله وأطلبه.

الحوارات التي في القلب غَذِّها بأمرين:

1) غذِّها بالعلم.
2) غذِّها بالمحبَّة.

غذِّي قلبك بكل أنواع العلم، ليس فقط بالعلم عن الله، القاعدة كانت العلم عن الله، لكن هنا العلم بكل مراضي الله؛ لأن في (الحمو الموت) هذا ليس له علاقة بالعلم عن الله، بل بالعلم عن محابِّه، وكذلك حكم بيع الذهب هذا علم عن محابِّه، فَتَعلَّم، تعلَّم كل ما يرضي الله ليصبح لديك نص، ويكون في المقابل موروثاتك وما أتيت به والمجتمع، وهواك، وطبعك.

(1) "رواه البخاري" (كتاب النكاح/ بَابٌ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ ذُو مَحْرَمٍ وَالدُّخُولُ عَلَى الْمُغِيبَةِ/ 5232)، و"رواه مسلم" (كتاب السلام/ باب تَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ بِالأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهَا/ 5803).

اللقاء الأول

انظر إلى ابني آدم، لتعرف الحوار؛ هناك كلمة هي التي تفهمك التقوى {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ}[1]، ما معنى فعل (طوَّعت) في اللغة؟

أرأيت عندما تأتي بحديد وتطوِّعه؟ أي: تلِّينه، يقول المفسرون: أن ابن آدم الذي قتل أخاه، ما قتله في نفس الوقت، بل تحيَّن فرصة فقتله، بين الموقف الذي حصل وبين قتله ماذا كان يفعل بنفسه؟ يطوِّعها من أجل أن تقتل أخاه، فكأن هذه هي طاولة الحوار، وهو يراضي نفسه، ويراضي نفسه، ويقنع نفسه أنه لابد أن يقتل أخاه، فصادم ماذا؟ صادم فطرته، صادم وثيقة المحبَّة والأخوَّة، ومع ذلك بقي يقنعها ويقنعها إلى أن أطاعته بأن تقتل أخاه.

انظر إلى **التطويع**، يأتي على جهتين:

أ- تطوّع نفسك إلى أن تتَّقي.

ب- تطوّع نفسك إلى أن تنحرف.

فكلاهما نوع تطويع، فأنت تكون تربَّيت في بيئة معيَّنة، وتسير في مسلك معيَّن، ثم تحيط بك جماعة كلهم أهل سوء، ثم يطوِّعونك للمنكر، كيف؟ يلقون عليك شبهَهم، أو شهواتهم، ثم تنام على سريرك وطيلة الوقت في مناقشات ومناقشات إلى أن تقول: فقط أذوق هذا الأمر، فقط أفعله وأذوقه! وأنا أعرف نفسي لأجرِّب فقط تجربة، ولو طوَّعت نفسك مرَّة واحدة أن تفعل، انتهى الموضوع! انكسَرَت إلا أن يجبرها الله بالتوبة.

التقوى عملية وليست مجرَّد مشاعر تقع في قلب العبد، لكن بعد طول عمل، وكلها مكانها قلبك، وعناصرها العلم مع ما أنت عليه؛ ما أنت عليه مثلًا: من غضب، ما أنت عليه من بيئة، ما أنت عليه من أفكار، من ثقة بالنفس، من مرض، أحيانًا يكون الإنسان مصابًا بمرض العلو، فلمَّا يصاب بمرض العلو وتأتيه النصوص يرى نفسه فوقها، وأعلى منها، وليس أنا من يُطبَّق عليَّ هذا النص.

مثلًا: يكون طيلة عمره يطلب من الناس الإعذار، وأنه هو مشغول وعنده مسؤولياته، وكلَّما طلب أحد منه شيئًا يطلب منه الإعذار، ثم بعد ذلك يصبح هو في موقف يكون هو فيه الطالب ويطلب شيئًا، ومن يطلب منه يكون مشغولًا مثله، فيعتذر، فيقول: لا، أنا مثلي لا يُعتذر لي! هنا فقِدَت التقوى، وسار وراء هواه.

فكل هذه العمليَّة تأخذ كم ثانية؟ ثانية، وهناك نوع مثل {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ}، هذا يحتاج إلى عمر، يذهب ويأتي في تفكير إلى أن تأتي المواقف.

أضرب مثالًا واقعيًّا: امرأة في أحد الحرمين، وتعرفون الفنادق التي تحيط بالحرم غالبًا تكون مزدحمة ازدحامًا شديدًا خصوصًا على المصاعد، وقفت هذه المرأة في انتظار المصعد في توقيت كانت المصاعد فيه خالية، فوقفت إلى أن أتاها المصعد ولله الحمد، فُتح الباب فإذا برجل فيه يريد أن يصعد، فوقفت تفكر: أدخل أو لا أدخل؟ أدخل أو لا أدخل؟ ثم اتخذت قرارًا بأن لا تدخل، فأغلق باب المصعد وذهب، أتاها المصعد بعد قليل فارغًا فصعدت، فلمَّا وصلت شقتها لم تجد أهلها فاضطرت للنزول مرة أخرى، وأثناء نزولها في المصعد توقَّف المصعد عند أحد الأدوار، فلما فُتح الباب فإذا برجل في

(1) [سورة المائدة:30]

الخارج، نفس عدد الثواني التي وقفت فيها تفكر في المرة الأولى وقف هو يفكر فيها، ثم بعد ذلك قرر ألَّا يدخل، ثم أغلق باب المصعد ونزلت وحدها.

لابد أن تفهم أن التقوى تقيك، أنت الذي ستقطف ثمارها مباشرةً، ولتعرف أن الله سريع الحساب.

ولما يصبح من ديدنك أن تتقي؛ فأنت في البداية تبدأ تمارس التقوى، لما تبدأ بممارستها يثبِّتك الله بمواقف مثل هذا الموقف، اتقيت، ففي نفس الوقت أتاك الثمن، حين يثبت في نفسك المفهوم، تُجمع لك الثمرات بأنواع وأشكال، فلابد أن تفهموا فعل الله-عزَّ وجلَّ-مع عباده.

مثال آخر: أتَّقي مسائل معينة، أكون خائفة أن أذهب هذا المجلس ويغتابون، وأسجد وأقول: يا رب احفظني من الغيبة، وأمسك لساني ألَّا أتكلّم، ثم أذهب ولله الحمد أجدهم لا يتكلَّمون، ويتجاوزون الموضوع ولا يتكلَّمون فيه والحمد لله، أي: أنك في أول الأمر وأنت في بداية التقوى يريك الله-عزَّ وجلَّ-مباشرة آثارها، ترى كيف أن التقوى تقيك مباشرةً، وحين تصبح-بفضل الله-ممارسة في داخلك، وتصبح قوة، وتصبح إنسانًا متقيًا، تأتيك أنواع أخرى من الثمرات مختلفة عن السريعة المباشرة، لكن هذه النقطة فيها شيء من الغموض في الحياة.

أول الأمر تجد آثارًا مباشرة لتقواك، كأن الآثار المباشرة يريد الله بها أن يثبِّتك، ليقول لك إنك تسير بشكل صحيح، وهذا من عاجل بشرى المؤمن أن يجد آثار فعله الصحيح فيزداد ثباتًا، ثم بعد ذلك لمَّا تصبح ممارسًا للتقوى تأتيك أنواع وثمرات للتقوى ليست هذه المباشرة، وسيأتينا إن شاء الله الكلام عن أنواعها وآثارها وثمراتها في الدنيا والآخرة، لكن في أول الأمر حتى تثبت على هذا السلوك، يعطيك مباشرة الجزاء الظاهر لتفهم أن الله هكذا يعاملك، أنت تعامل الله هكذا، يعاملك الله هكذا، إلى أن تثبت في قلبك هذه المسألة وتشعر باليقين تجاهها، وأن التَّقي لابد أن يأخذ الآثار عاجلًا أو آجلًا، ثم يساعدك-سبحانه وتعالى-بأن يشرح لك صدرك لهذه التقوى وإن لم ترَ آثارها المباشرة.

فَهِمْنا معنى التقوى من كلام طلق بن حبيب، والعلماء في الغالب يجعلون كلامه مقدَّمًا لأنه جمع معنى التقوى بدقة، واتفقنا أن التقوى تعتمد على ما معك من علم، وبما أنه معك علم في المسألة لا وسوسة، لكن المجتمع اعتاد على أمور كثيرة تخالف الشريعة، وإذا أتيت لتصحِّح له يقول لك: أنت موسوس، فالآن هذا الشعار مرفوع علينا، فبعدما كانوا يقولون: معقَّد، الآن يقولون: موسوس، ولن ننتهي، يُلقي الشيطان عليهم هذه الأسماء، لكن أهم شيء أن يكون ما تقوم به أتى وراء علم، ولا تنسَ العوامل الثلاثة، يكون عندك علم، ويكون في قلبك محبَّة أورثتك الخوف والرجاء، ثم يكون الناتج أن تعملي أو تتركي، فلابد أن يكون عندك علم، فيبدأ يصبح عندي مؤشر حساس، كل شيء أسأل عنه هل هذا يسخط الله أو يرضيه؟ لكن المهم أن يكون مؤشرًا منطقيًا.

فمثلًا: لمَّا أتى أهل الكوفة لابن عباس-رضي الله عنه-يسألونه عن دم البعوض إذا قُتل هل دمه يفسد حج الحاج؟ فقال لهم: تقتلون سبط رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ثم تسألون عن دم البعوض؟!

أي أن المسألة تحتاج إلى فقه، أي: لا أن يرتكب الإنسان من جهة كبائر، ثم يأتي إلى مسائل أصغر من الصغيرة يسأل عنها! فيكون عنده كما يعبِّرون تسلسل منطقي، عنده هرم منطقي للتقوى، فيبدأ باتِّقاء الشيء الكبير قبل أن يتَّقي

الشيء الصغير، إلى أن يتمرَّس فيتَّقي الكبير والصغير، لكن إذا تيسَّر له اتِّقاء الصغير يتَّقيه، لكن البداية تكون بالكبير؛ لذلك لا بد أن يكون عنده علم ليعلم الشيء الذي سيتَّقيه.

اتَّفقنا أنني لا أستطيع أن آتي بكل تعريفات التقوى؛ لأنه مع كثرة التعريفات لن ينتهي الأمر، فكلٌ سيصف هذا المفهوم العظيم من زاوية، لكننا على الأقل اتَّفقنا كيف يحصل هذا في داخلنا، كيف يكون.

قال ابن مسعود في قوله تعالى: {اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}[1]، "أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر".

كيف يكون حق التقوى؟

- ⟵ أن يُطاع فلا يُعصى.
- ⟵ ويُذكر فلا يُنسى.
- ⟵ وأن يُشكر فلا يُكفر.

سنربط كلام ابن مسعود بكلام طلق ابن حبيب.

طلق بن حبيب عنده ثلاثة عوامل: عنده علم، وعنده محبَّة، والمحبَّة معها الخوف والرجاء، وعنده العمل أو الترك، ما معنى أن تتَّقي الله حق تقاته؟ تطيعه فلا تعصيه، وتذكره فلا تنساه، وتشكره فلا تكفره، هذا كله نتيجة ماذا؟

العاملان اللذان مضيا، وهما العلم مع المحبَّة التي بين قوسين (الخوف والرجاء)، فكأن ابن مسعود يتكلم عن الآثار العملية.

أن يُشكر فلا يُكفر

كيف سيكون الحوار؟ أي شيء ينغص عليك اجعل أمامه كل النعم التي أتتك.

إذا كنت تعلم أن ما بك من نعمة فهي من الله، لك أن تتصوَّر تفاصيل تفاصيل النعمة:

جهاز التكييف الذي يعمل في البيت، مفتاحك الذي تستطيع أن تفتح وتغلق به البيت، بابك المغلق عليك وأنت لست في الشارع، وعدد الغرف التي تعيش فيها، ومأكلك ومشربك، بالتفصيل، الأمان الذي تعيشه سواء كان بصورة عامة أو بصورة خاصة، كونك تتمتَّع بالصحة والعافية، وعُدَّ ولن تنتهي من العدِّ، فإذا علمت أن كل نعمة من الله–وهنا أتى العلم–وعلمت أن الشكر محبوب عند الله، وأنت تحب أن يحبك الله، ماذا يصبح ديدنك؟ تشكر فلا تكفر.

أي: أنك تتقي أن تكون كافرًا، فأول تفكير يخطر على بالك –واعلم أنك تبتلى في التقوى– عندما تأتيك المنغِّصات، هناك منغِّصات وألم، وهناك نعمة وكرم، متقابلين، ماذا يفترض أن تكون نتيجة الحوار لو كنت تقيًّا؟

مباشرة يأتيك الشكر، فكثِّر عدد النعم المنعم عليك بها، كثِّر الجانب الأيمن، لدرجة أنك تستحي أن تقول إن هذا نقص، فهناك طاولة بسرعة تصبح موجودة، وبسرعة يصبح هناك حوار في القلب، فأنت تنبَّه لهذا الحوار، وغَذِّ ما يزيدك تُقى، ومباشرة ذكِّر نفسك أنه أعطاك ما حرمك، وأغناك ما أفقرك، ومن كل ما سألته أعطاك سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن تكون الدنيا على الكمال لأحد.

(1) [سورة آل عمران:102]

ولذلك نحن نسأله–سبحانه وتعالى–أن يجعل في قلوبنا شوقًا إلى لقائه، لكن شوقًا إلى لقائه من غير ضرَّاء مضرَّة ولا فتنة مضلَّة؛ أي: يا رب أنا أشتاق للقائك ليس لأن ضررًا أصابني، وليس لأن هناك فتنة يعيشها الناس وأريد أن أخرج منها، إنما شوقًا إليك، ومعرفة أن الدنيا دار زوال، فكلَّما عرفت حقيقة الدنيا اشتقت إلى الله، وبين المعرفة وبين الشوق هناك مسافة وهي التقوى.

العبد كلَّما عرف الله–عزَّ وجلَّ–واتَّقاه، رأى آثار التقوى في حياته، وفهم حقيقة الدنيا، فالتقوى تفهمك حقيقة الدنيا.

مثلًا: تجري وراء الدنيا، ثم تتنبه وتقول: لا، لن أجري خلف هذا الشيء، وسأتَّقي، وربي سيرزقني من حيث لا أحتسب، فيأتيك بكل يسر وسهولة، ويطرق بابك وأنت جالس في مكانك، فتقول الدنيا لا تستحق! أو تأتيك مواقف تكون فيها مشتاقًا لشيء من الدنيا، ويذيقك الله إيَّاه ثم يذهب طعمه، فتشعر أنه لا يستحق، لا يستحق أن أفقد ديني من أجل شيء سيذهب طعمه بعد دقائق.

فالشوق إليه–سبحانه وتعالى–يأتي من العلم بحقيقة الدنيا وتقواه.

لا تنسَ أبدًا أن نقاشًا دائمًا يدور في القلب، وعليك أن تغلب الجانب الذي يسبب لك التقوى، فكلما ازددت ذكرًا لنعمه تلاشت عنك الآلام، فمباشرة يخرج من لسانك شكر لا تكفر فيه نعمة الله.

ويُذكر فلا يُنسى

تُلهينا في الحياة ملهيات، أمور تجري بنا، ثم كلَّما زادت الملهيات زاد الإرهاق والتعب.

فعندما تخرج من هذا البيت إلى ذاك البيت، ومستعد من هذه الحفلة إلى تلك الحفلة، ومن التكليف هذا في العمل إلى ذاك التكليف، هناك إرهاق في البدن وإرهاق في القلب، كل هذا لا يخرجك منه إلا الهدوء والراحة والاستقرار، وبقاء العبد مشتَّتًا منزَّعًا لابد أنه ينسيه ماذا يريحه، فقلبك هذا المشتَّت المنزَّع هناك شيء يريحه، كلَّما ازددت شتاتا نسيت ما الذي يريحك، إلى أن تتَّقي الشتات.

إذا اتقى العبد الشتات وجمع قلبه بقي **ذاكرًا لا ينسى**.

إذًا المتَّقي يتَّقي أن يتشتَّت، وأن يعلِّق قلبه بهذا أن يعطيه، وبهذا أن يكسيه، وبهذا أن يسقيه، يتَّقي هذا التشتُّت، إذا اتَّقاه سيبقى دائمًا لربه ذاكرًا، لكن لو كانت معاملته التي في البلديَّة وراءها فلان، ومعاملته التي في المحكمة وراءها فلان، ومعلَّق قلبه بفلان، وهنا عنده واسطة، وهنا عنده واسطة، لن يذكر ربنا أبدًا، ولن يمر على خاطره، هذا في المجتمع الذي لا يفقه.

فالمجتمع يقول لك: إن الواسطة تأتي بالأشياء، وإن لم تكن تملك واسطة ستضيع، وأنت تقول: أنا أردد في اليوم والليلة سورة الإخلاص، فكم مرة تقول: الصمد؟ كم مرة تقول: أنا عبد ضعيف ألجأ إلى سندي، ألجأ إلى الصمد الذي تصمد إليه كل الخلائق فيقضي حاجتها، ولا ينقص قضاء حاجات الخلق كلهم من مُلكه شيئًا!

فأنت في طاولة الحوار، إذا كان قلبك هنا متعلِّق بفلان، وهنا متعلِّق بفلان، لن تذكره، لكن إذا اتَّقيت التعلُّق ستذكره فلا تنساه، **لماذا ستذكره فلا تنساه؟**

لأن عدد حاجاتك بعدد شعر رأسك، طيلة الوقت أنت محتاج، محتاج أن يعطيك ربك القوة لكي توقظ ابنتك هذه وابنتك هذه لصلاة الفجر، ومحتاج أن يعطيك القوة أن تدرسهم، ومحتاج أن يعطيك القوة أن توصلهم في الوقت المناسب، وأن أطعمهم، وأشربهم، وينامون في الليل، كل هذه القصة الطويلة، ثم أنا، ثم الزوج، ثم البيت، ثم الخادم...إلى آخر ما تعرفون من عدد الحاجات المستمرة المتتابعة التي في اليوم والليلة، من يقضيها لك؟ ليس لديك إلا (يا الله)!

لذلك تتذكر دائمًا أنه صمد، دائما يقول لك: اقرأ سورة الإخلاص لتتذكَّر أنه وحده الصمد، فتصمد إليه، فتصوَّر عندما تكون كل حاجاتك مكانها عند باب الله، هل ستنساه؟ بالطبع لا.

لذلك الذي يتَّقي أن يتعلَّق بغيره سيبقى ذاكرًا لا ينسى، فطيلة الوقت ليس عندك إلا (يا الله).

ولو التفت قلبك لفتة بسيطة، فقلت: فلان لو وصلنا له ستُحل المشكلة. يردُّ فلان عليك بأبرد ما يكون من أول المكالمة، فيتبيَّن لك أنه لا يوجد أمل، ثم وأنت في المكالمة مباشرة قلبك يفزع إلى الله، فتقول: لا يوجد غيرك يا ربنا تعينني وتسخِّر لي، ثم تغلق المكالمة مع هذا وتتصل بآخر فيسخِّره الله لك، فلا تلتفت عن الله، هو الذي يأتي بالخلق ويسخِّرهم لك.

الناس بالناس لا يستطيعون الاستغناء عن بعضهم البعض، لكن الله-عزَّ وجلَّ-هو الذي جعل بعضهم لبعض مسخَّرًا، فلا تعتمد عليه من دون الله، فإذا كنت تقيًّا ستذكره فلا تنساه.

ما الذي تتَّقيه بالضبط هنا؟ تتَّقي أن تتعلَّق بغيره، أو أن ترى غيره قاضيًا لحاجتك، أو سادًا لثغرتك، أو شارحًا لصدرك، لكن اعلم لا حاجاتك، لا ثغراتك، لا صدرك، لا قلب الرجل، لا فكر البنت، ولا أي شيء، نحن كل الذي نبذله أن نبقى نطلب من الله أن يشرح الصدور، وييسر الأمور طيلة الوقت؛ لذلك عندما تدخل إلى بيتك تدعو، وعندما تخرج من بيتك تدعو، وعندما تقضي حاجتك تدعو، لماذا؟ لأن كل شيء لا يكون إلا به-سبحانه وتعالى-، فهذا هو التوحيد، أنك واحد لواحد.

فالعبد طيلة الوقت في قلبه حوارات، والتَّقوى حول هذه الحوارات.

مثال: لو أول الأمر قلبي التفت لغير الله، وأتوا لي برقم فلان، فقلت: انتهى الأمر بما أننا وجدنا رقم فلان حُلَّت المشكلة. فأتَّصل به وإذا به يكلمني ببرود فأُخذل، وهو يكلِّمني ببرود منذ البداية قلت يا ربي: لا أحد غيرك، اغفر لي التفات قلبي لغيرك. ثم أنه يوجد هناك شخص آخر أتَّصل به، لكن وأنت تتَّصل بالشخص الآخر تتَّصل وأنت يائس، وآمالك كلها في الله، وهناك فعل مهم لا بد أن تفهمه وهو أن الله-عزَّ وجلَّ-هو الذي يسخِّر للعبد المعينين له، فأنت بهذا التفكير تفكِّر بالشخص الثاني: يا رب سخِّره، اجعله قاضيًا لهذه الحاجة، فمن الطبيعي أن الحاجات ستُقضى على يد الخلق، لكن هناك فرق بين أن يكون قلبك للخلق، وأن يكون قلبك لله، وهذا لا يفهمه إلا من دخل في تجارب، فمن دخل في تجارب يفهم الالتفاتة الصغيرة التي تحصل في القلب والتي تهلكه.

اللقاء الأول

في قصة يوسف-عليه السلام-قيل له: {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[1] فالإنسان عندما يحسن لا يضيع أجره {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ}[2] ماذا يحصل؟ {فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}. هذه المرأة تقول إنها ذهبت للحرم-والبلاءات لا بد منها في الحرم-فأوَّل يوم أتى مَن أمامها وأساؤوا إليها، وفي اليوم الثاني أساء إليها الذين على يمينها، وهي ملتزمة الصمت، وفي الثالث كانوا الذين من شمالها، وفي اليوم الرابع كانوا الذين من ورائها، المهم أنها كانت أربعة أيام بأربعة أنواع من البلاءات من كل جهة، وهي تقول: {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}، انتهت ولله الحمد الأربع جهات وأتى اليوم الخامس، جلست بجانب أناس طيبين وبقية الأيام كانت مثل هذا، لكن الموقف والشاهد على هذا هو أنكم ترون أحيانا في الحرم المكي عندما يغسلون الحرم، ويرشُّون الماء، ويسقط من يسقط إلى آخره، فهذه المرأة خارجة من الحرم-وهي ليست بخفيفة-فأصبحت في وسط هذا الحدث، فأتتها امرأة من بعيد لا تعرفها، فأخذت بيدها وأعانتها حتى خرجت من الماء، ثم ذهبت! فهكذا يُسخِّر لك، بهذه الصورة التي تراها بسيطة لكنها تعظم في كل المواقف.

فمعنى ذلك أن يبقى قلبك ذاكرًا لله ليس ناسيًا، ثم هو-سبحانه وتعالى-يسخِّر لك؛ لذلك يقال لك: لا تنشغل عن الله بأي شيء، كل شيء انشغلت به عن الله أفسد عليك، لا يصلحك، لكن لو انشغلت بالله عن كل شيء أصلح لك كل شيء، هناك فرق شاسع بين الأمرين. في نهاية الجمل: **أن يطاع فلا يُعصى.**

وأن يطاع فلا يُعصى.

من المؤكد أن التَّقي معه من العلم، ومعه من حبِّ الله-عزَّ وجلَّ-ما يجعله دائمًا يبحث عما يرضيه، وحتى لو حصلت منه المخالفة فوصفه أنه أوَّاب، التَّقي يتَّقي أن يسخط الله عليه، أي: لا تأتيه تلك اللحظة التي لا يبالي فيها بسخط الله، فالإنسان الذي يُغضب الله كأنه في حال لا يبالي بسخط الله، ليس بالشيء المهم عنده.

يؤسفني أن أقول إن كثيرًا من الشباب يسأل: هذا حرام أو مشتبه فيه؟ أو يقول لك: هذه كبيرة أو صغيرة؟ قُلْ له: لا يوجد شيء اسمه صغيرة، بما أنَّ هذا في قلبك، فلا صغيرة مع الإصرار، وهذه هي الحقيقة، **لا صغيرة مع الإصرار**، فأنت هاجم على الأمر وكأنك تقول: أنا لا يهمُّني أن يسخط الله، فأصبح لا صغيرة مع الإصرار.

لكن المتَّقي لا يتعمَّد معصية الله، بل يبتعد عنها، ويتَّقيها، فإذا غفل أو دُفع، فأحيانًا يحصل هناك دفع في مواقف، فتُثار، أو تغضب، أو يستفزونك، أو لا تملك نفسك، أو لا تملك طبعك، فيأتي الوصف الثاني العظيم للمتَّقين أنهم **أوَّابين**.

فالتَّقي يطيع الله فلا يعصيه، ولابد أن تحدث من بني آدم المعاصي لكن من طبع التَّقي أنه أوَّاب لما يجد في قلبه من محبَّة الله والعلم عنه، **فالمحبَّة والعلم يسبِّبان طلب الرضا دائمًا.**

التَّقي رأس ماله زمنه، أي: أنه دائمًا يُحدث تقوى في زمانه، كأنه يفهم تمامًا أن هذا الوقت هو وقت السير، فطيلة الوقت يتقي أن يُذهب رأس ماله، يتقي أن يُذهب وقته؛ فلا يأتي لهذا التَّقي زمن لا يبالي فيه بطلب رضا الله، حتى عندما يأتي لينام يقول: أنام مبكرًا لأقوم الليل، أسأل ربي ألا يحرمني القيام، خصوصًا لما يخرج من رمضان-نسأل الله أن يقبل منا صيامنا وقيامنا-يكون المرء خائفًا أن يترك القيام، أن يترك تلاوة القرآن، يتملَّكه خوف في قلبه، فمن الخوف يبدأ يلاحظ

(1) [سورة يوسف: 36]

(2) [سورة يوسف: 90]

الزمن، فيقول: إمَّا أن أنام مبكرا لأقوم، أو أصلّي بعد العشاء، فمن جربوا أنفسهم خلال الأيام التي مضت، وكان الشيطان يخدعك، يقول لك: نم ثم قم صلِّي، وبالكاد نقوم للفجر، وأحيانًا الوتر، فأنا أنصحكم في هذه المرحلة وهي مرحلة انتقال أن تعتنوا غاية العناية بمسألة القيام، وبالذات في هذه المرحلة التي تعتبر برزخيَّة، صَلِّ بعد العشاء ولو تسليمة أو تسليمتين، صَلِّ لِتَدْحر شيطانك ثم يقوِّيك الله عليه، فالآن العشاء يؤذِّن مبكرًا، ونحن لا زلنا بنشاطنا خصوصًا من يأخذ قيلولة، لا تقل: أنا أريد الأفضل. صلِّ الآن بعد العشاء ثم فيما بعد إن شاء الله يأتيك الخير.

لكن الآن نحن نعرف أنفسنا، لو تركنا الصلاة في هذه الفترة من شوال إلى ذي القعدة لن نتقابل مع القيام إلا في رمضان القادم! فتمسَّك به ولو بعد العشاء، بقدر ما تستطيع، خصوصًا الأيام التي تأتي بعد انقطاع بسبب الدورة الشهرية، وهذه مشكلة أخرى نحن نعاني منها، فبعد الانقطاع من الصعب أن تعيدي بناء بدنك على أن تقومي في الليل.

إذًا لا بأس صلِّي بعد العشاء جزاكِ الله خيرًا، تمسَّكي بما أنعم الله به عليكِ من قيام، ومن ثم سترين آثار هذا القيام على تقواك، فأنت تتَّقين أن تضيِّعي وقتك، فهذا نوع من التقوى (يطاع فلا يُعصى ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يُكفر).

- ورد في بعض النصوص وصف هذه التقوى مثل هذا الحديث الذي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب: عن عطيَّة السَّعديّ–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله–صلَّى الله عليه وسلَّم: ((لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ، حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ))[1].

من هذا الحديث نأخذ قاعدة في التفكير، اتَّفقنا أن التقوى عملية تفكير، أنت لديك النص أو العلم الذي تعرفه عن الله، أو أمر به الله في جهة، تصوَّري أنها جهة اليمين، وعلى اليسار طبعك، ثقافتك، قناعاتك الخاصة من المجتمع، فماذا يحصل بين الاثنين؟ حوار؛ عملية التفكير هذه والبحث التي يحصل في القلب لابد لها من قواعد.

- ومن القواعد المهمة في التفكير وأخذ القرار: **أن تدع الشيء الذي ظاهره لا بأس به، حذرًا ممَّا به البأس**، فتترك الشيء الذي في ظاهره أنه لا بأس به، لكنك تعرف أن هذا الشيء يمكن أن يَجُرَّ شيئًا به بأس، ففي كثير من الأحيان نتعرَّض في مواقف إلى عرض شيء من المتشابهات علينا.

مثلًا: في بداية ظهور الأسهم كانوا يقولون: إن هذه مجرد بيع وشراء. وهناك قوم من أول الأمر قالوا: هذه مسألة فيها أشياء وهمية وغير معروفة وغير واضحة؛ نخشى أن تجرَّنا إلى ما فيه بأس، فلمَّا طبَّقوا قاعدة التقوى وقاهم الله ووقى أموالهم. وآخرون رأوا أن المسألة في صورتها الأولى ليس بها بأس، ثم جرَّهم لما فيه بأس، ثم كان الثمن خسارة أموالهم عوَّض الله عليهم بالإيمان والتقوى.

فالمقصود أن هذا الحوار الذي يحصل في القلب لابد له من قواعد في التفكير، ومن القواعد: أن تترك شيئًا ظاهره لا بأس به، تخشى أن يجرَّك إلى شيء فيه بأس، وهكذا.

لو أتيت مثلًا عند حالات التعلُّق بأشخاص، كثير من حالات التعلُّق بأشخاص كيف تكون؟ هذه زميلتي وهي معي منذ سنوات وليس لي معها مشكلة، وفجأة في لحظة يكون عندي فيها ضعف، أو عندي مشكلة، وهي تقف بجانبي، أو أرى

(1) الترمذي (2451) وقال: حديث حسن غريب. وسنن ابن ماجة (4215) وصححه السيوطي

منها تصرفًا يناسبني، وأذهب إلى بيتي وحالها يلح على عقلي، صورتها وموقفها يلح علي، فلو أكملت سلسلة التعلُّق ماذا يحصل؟ يصبح هناك استجابة لهذا الإلحاح في التفكير، والتفكير ليس به شيء سيء.

لكن شخص فجأة تهتمين به، ثم أمد مادة الاهتمام بالاتِّصال وبالمناقشة وبالكلام، ثم أمد مادة الاهتمام باللقاءات، إلى أن يُصبح القلب ممتلئًا بهذا الشخص، ففي بداية الأمر كان ظاهر المسألة لا بأس بها، وفي نهايته وصلنا إلى حال التعلُّق!

لذلك أي أحد تشعر بميل عاطفي تجاهه، ثم تراه تلح على عقلك ذكراه، لا تستجب لنفسك، فلو قطعت من هذه المرحلة سترتاح ولن تأتي مسألة التعلُّق، وكَوْني لست متعلِّقة هذا لا يعني أن أكون جافة، ومُعادِية، بل سأكون طبيعية.

في أول الأمر الإنسان يقول لنفسه: الأمر عادي أن أفكِّر بهذه الكثرة، نقول: لا، أنت تتصوَّر أن هذا لا بأس به، لكن بعد ذلك يتطور فيصبح به بأس، وأمثلة هذا كثيرة، أن ترى أن أمورًا لا بأس بها تتحوَّل إلى أن تصبح أمورا بها بأس.

- (سأل رجل أبا هريرة–رضي الله عنه: ما التَّقوى؟ قال: «هل أخذت طريقًا ذا شوك؟» قال: نعم، قال: «فكيف صنعت؟». قال: إذا رأيتُ الشَّوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: «ذاك التّقوى»)[1].

عدلت عنه: ابتعدت عنه، جاوزته: قفزت من فوقه، إمَّا أن أعدل جهة اليمين، أو أقفز من فوقه، أو أبتعد تمامًا عن الطريق الذي فيه الشوك.

افهم الصورة: شخص سائر إلى ربه، وهو سائر في حياته لابد أن تُعرض عليه من المواقف والأحداث التي فيها أخذ له إلى شيء لا يحبه الله، لا تتصوَّر أن الدنيا تسلم من هذا، أبدًا، فأنت دائمًا عندما تقف أمام شخص تقول: يا ترى أنت شخص ستأخذني إلى الله؟ أم ستأخذني بعيدًا عن الله؟ عندما تقف أمام بيت تملَّكته أو سكنته وأنت تنظر إليه، فتقول: يا ترى هل ستكون سببًا لأخذي إلى الله؟ أم بعيدًا عن الله؟ فكل شيء حولك ممكن أن يكون آخذًا إلى الله، أو بعيدًا عن الله، كيف يكون ذلك؟ تبدأ تظهر مظاهر أن هذا الشيء يأخذك بعيدًا عن الله، فيكون له مظاهره.

مثلًا: أنا سكنت في بيت، ولدي جارة طيبة مباركة، وتقول لي: أنا جرَّبت جيرانًا كُثر، وكلَّما اجتمعنا أتت الغيبة، وأنا لا أحب إلا ذكر الله، وأريد أن أحفظ معك القرآن، في ظاهر المسألة، الحمد لله، إن شاء الله تأخذك إلى الله، لكن سرت إلى منتصف الطريق ثم بعد ذلك بدأت تدخل أشياء لا لَزْمَ لها، وبدأت تتفلَّت العزائم، وبدأ يصبح الاجتماع لمجرَّد الاجتماع، وبدلا من أن نجلس ساعة نتكلَّم في شرح القرآن وحفظه ثم نفطر، صرنا نفطر ثم نجلس ساعة نتكلَّم عن الفطور كيف أعددناه، ثم في آخر عشر أو خمس عشرة دقيقة نراجع حفظنا! ثم نقول تأخرنا اليوم، وبعد ذلك كل منَّا يذهب إلى طريقه!

في هذه اللحظة تحتاج أن تقصُر عنه، ليس كل الذي تتَّقيه ستواجهه مرة واحدة، أحيانًا يكون الشيء واضح جدًا، تُعرض عليك وظيفة، ومن بداية الأمر فيها اختلاط، هنا لابد أن تعدل عنه، وتتركه تمامًا.

وحالة أخرى: تأتي في حال داخل وضعك، في بيتك، مع أبنائك، مع الزوج، شيء لابد أن تتجاوزه، كأنك تقفز من فوقه، يأتيك ضرر، تأتيك أمور لو أردت أن تشرحها تغتاب، فتسب، أو ستفتري أحيانًا، فكثير من النساء الذين يحكون عن أزواجهم يدخلون في الافتراء وهم لا يشعرون، فهي عندما تحكي لي الحكاية لا تحكي لي الحكاية فقط بأحداثها، بل

(1) الدر المنثور للسيوطي (1/ 61)

تحكي الحكاية بمشاعرها، والمشاعر هذه في كثير من الأحيان يكون فيها شيء من الافتراء، فتقول: أحسُّ أنه يريد أن يفعل كذا، أحسُّ أنه اتخذ قرارًا أن يفعل كذا، وكلمة (أحس) كلها افتراءات!

فعندما تأتيك الفتنة في داخلك، وأحيانًا يبتلى الإنسان برجل-والعياذ بالله-يُكَفِّر المسلمين، وهذا في داخل البيت، شديد الالتصاق، تحتاج أن تتجاوزه، لا تدخل معه، ولا تسايره، خصوصًا الناس فيهم ضعف ولا يستطيعون أن يتَّخذوا قرارهم، فهي زوجة، ابنة، تابعة، فماذا تفعل؟ تتَّقي في داخلها وتتحاشى هذا الشيء مع قربه الشديد منها، هذا كأنك تقفز عليه.

الثالث: قصرت عنه: مثل الجارة تلك، سرنا في البداية بشكل جيد، ثم وجدنا أنفسنا ضعنا، فماذا تفعلين؟ تقصرين عن الشيء، تعودين، ولا تتمادين.

إذًا التقوى إمَّا خطر ظاهر تعدلين عنه، وإمَّا باطل ملازم، وهذا تبذلين جهدك بأن تتجاوزيه، وتتجاهليه ولا تتكلَّمي في الموضوع، بل تحاشيه، فعندما يفتح الموضوع في البيت ويقول لك: العلماء والأمراء. ويبدأ يكفِّر، قولي له: اسمع، هذا بيت، وليس مركز أبحاث، فتجاوزيه وتجاهليه، قولي له: أنا هذا الأمر ليس لي علاقة به، لا أعرفه، ولا أفهمه، ماذا تريد؟ تريد أن يكون اعتقادي مثل اعتقادك؟! وأنتِ من الداخل متَّقية اعتقاده، لابد أن تتجاوزيه، إذا أردت مناقشته لن تنتهي، التقوى هنا ليس أن أناقشه وأقنعه، لكن التقوى هنا أن أتجاوزه.

النوع الثالث من الفتن: تبدأ خيرًا ثم تنقلب شرًا، وهذا أنتِ بحاجة أن تقصري عنه، وتردِّي نفسك عنه.

فهذه ثلاثة أنواع من الفتن يُبتلى الإنسان بها:

1. إمَّا معروضة ظاهرة بأنها فتنة.
2. أو باطل قريب وملاصق.
3. أو شيء بدأ خيرًا وانتهى إلى شر، وهذا تقصر عنه.

قال: ذاك التقوى.

- قال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله تعالى-: (التّقيّ ملجَّم لا يفعل كل ما يريد)[1].

تعرفون الملجَّم؟ هل تعرفون لجام الفرس، الذي يضعونه في فمه ويشدُّونه منه، يمنعونه، فالتَّقي شخص بهذه الصورة بالضبط، مُلَجَّم، كل أعضاؤه ملجَّمة، ليس كل ما خطر على باله فعل، دائمًا عنده مجلس استشارات، أرأيتم كيف يُغَشُّ بعض الناس سريعًا؟ يَعرض عليه أحدهم أرض فيضع كل أمواله فيها، وشخص يغريه بقطعة ذهب فيدفع كل أمواله فيها، وآخر بمجرَّد أن يُعرض عليه ذلك يقول: لا، أنا لديَّ مكتب استشارات، أستشير ثم أقرِّر أشتري أو لا أشتري، فمن الناس من سياستهم هكذا، ومنهم من سياستهم هكذا، حتى في التعامل في طريقك إلى الله هناك أناس هكذا، وهناك أناس بمجرَّد أن تخطر على بالهم خاطرة لا يفكِّروا أبدًا في أي شيء يلجمهم عنها، تُنفَّذ بمعنى تُنفَّذ.

(1) شرح السُّنة للبغوي (14/ 341)

مثلًا: أرسلوا في البريد الإلكتروني قصة أنا لا أعلم حقيقتها، سأضربها مثلًا ولو كانت خيالًا، سأضربها كمجرَّد مثل، وليس هذا تثبيتًا لحقيقتها، أرسلوا أن طفلة صغيرة يظهر أنها في أول أو ثاني ابتدائي، ذهبت يومًا إلى المدرسة ومعها كيس، وهذا الكيس شكله غريب، في النهاية اكتشفوا أن الذي في الكيس هو أخوها الرضيع! وبعد ذلك أعادوا الطفل لأمِّه، لكنها قررت أن تأخذه وتريه صاحباتها، هم ما أتوا لزيارتها، فهي تأخذ الولد يزورهم! فهذا قرارها، وتعرفون أن هذا البريد يحمل كذبًا لا نهاية له، لكنني أضربه كمجرَّد مثال.

فانظر إلى هذا، طبع أشخاص، عندما يقرِّر أن يفعل شيئًا، لا يفكِّر في أي شيء، الشيء الذي في رأسه يفعله، بمجرَّد أن تخطر على باله خاطرة يفعلها بدون قوانين، ومثل هذا ليس في صفحات الإنترنت، هذه مواقف حقيقية تحصل.

هذه النفسيَّة يصعب عليها التقوى، فكل الذي يخطر على بالها لابد أن تفعله، مثل الطفل الصغير، والطفل الصغير يُقبل منه، لكن المشكلة عندما ينضج، ما هو الفرق بين الناضج والصغير؟ أن الصغير كلَّما خطر على باله أراد تحقيقه، وأنتِ تربِّينه على: لا يا بُنَيَّ، ليس كل الذي يخطر على بالك تحقِّقه، فلما نكبر وتكون نفوسنا طفولية، مثل هذا لا نُمدح على ذلك بل نُذم.

فمثلًا الطفل الصغير يكون طيلة الليل يكح، ولم ينم، وفي الصباح أعطيْتِه خافض للحرارة، ثم يرى إخوته يأكلون مثلَّجات فيريد مثلهم، نقول: لأنك ليس لديك عقل تفعل هذا الفعل، وإلَّا فأنت كل أعراض المرض موجودة عندك، ستزيد مرضك بذلك!

فهكذا نفوسنا، تكون مريضة، مريضة بحب الدنيا، والتعلُّق بها، وتحب الذهب، وتحب الساعات، والمفروض أنه-الحمد لله-الموجود يكفي، سأقف وأتحاسب عنه، لكن إن رأيت خاتمًا جديدًا عند أحد، أو ماركة ساعات جديدة، ولا كأنني لبست في حياتي ساعة، آخذ قرار أني الآن يجب أن أشتري، وأنا أتكلَّم عن موقف حقيقي، فإذا كان عندها أجهزة الدردشة المباشرة، أو عندها (مسنجر)، تكتب في شعارها لأهلها: (إذا كنتم تحبون أن تعطوني هدية نزلت ساعة كذا وكذا أعطوني إيَّاها هدية) إلى هذه الدرجة استجابة لما يجري!

ليس شرطًا شهوات من هذا النوع، هناك شهوات أخرى، مثلًا: قال لي كلمة أغضبتني، لا أفكِّر أن أصبر، أو أراجع، أو أرى ما السبب، قال كلمة ترى الرد مباشرةً جاهز، ثم يمدحها المجتمع فيقول لها: ما شاء الله ردَّها جاهز، ولا يعرف أن الشيطان هو الذي قوَّاها.

⇐ كيف يكون عدم إلجام النفس؟

تفعل ما تريد، كل ما يخطر على بالها تفعله، لا تعطي نفسها حتى فرصة التفكير، لا توجد فرصة للمحاورة أو المشاورة مع النفس، بين قيمكِ العليا التي تحملينها وبين الهوى لا يوجد علم أستضيء به، ولا أعطي نفسي فرصة أن أستضيء، كل الذي يخطر على بالي أقوله أقوله، فأصبحتُ ثرثارة، وكلَّما غضبت عبَّرت عن الغضب، فأُصبِح بذلك غضوبة، وكلَّما سمعت خبرًا نقلته، فأُصبِح بذلك مُفشية للأسرار.

المقصد أن ترى نفسك، إلى أي درجة لا يوجد لديك لجام يمنعك، إذا ما كان هناك لجام يمنعك، إذًا أنت بعيد أن تكون من أهل التقوى، لابد أن تعيد تأهيل نفسك، لكن ماذا لو كانت هناك زاوية أملك فيها لجام، وزاوية أخرى لا أملك فيها لجام يمنعني؟ ندرب أنفسنا في الثاني.

لذلك وأنتِ تربّين أبنائك، تلمَّسي هذا الذي ليس عنده لجام في أي شيء، خصوصًا في مرحلة المراهقة، ففي مرحلة المراهقة يبدأ يظهر لي، وهو طفل صغير، لا بأس هم كلهم لا لجام لهم، وهذا في الغالب، وإن كان البعض تظهر عليهم مظاهر العقل من الصغر، لكن عندما يبدأ سن البلوغ، من المفروض أن يبدأ هنا يظهر اللجام، واحد يفكِّر قبل أن يتكلَّم، ويفكِّر قبل أن يتصرَّف، حتى في مسلكه العادي، وهناك أناس ابتلوا بأن لا لجام لهم، قبل أن يتصرَّفوا لا يفكِّرون، لا يضعون الموضوع على طاولة البحث والتَّفكير، مباشرةً قرارات، مباشرةً تصرُّفات، مباشرةً شهوات معلنة.

لذلك تجد هذا مذبذب، كل يوم له وجه، وكل يوم له صورة في الحياة وطريقة، فلابد من لجم النفس، ولا بد من التَّصبر، {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}.

التقي شخص ملجَّم لا يفعل ما يريد، ولا يقول كل ما يخطر على باله؛ إنما يدور الأمر في قلبه، يبحث عن النصوص التي تحكمه الآن، ويُخرّج قناعاته وأسبابه الداخليَّة، ويواجه نفسه: تريد أن تفعل هذا الفعل لماذا؟ ما الذي يحرِّكك؟ ثم يدخل عليه الإخلاص، ثم يدخل عليه ما يعالجه من العلم.

إذًا ليس كل ما خطر على باله فعل، على ذلك هو بطيء في ردود أفعاله، لكن كيف أفسر {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}[1]؟ وكيف أفسِّر الأمر بالمسارعة للخيرات؟

تقول: أنا كنت أُرضي الله. لكن ليس عندها نيَّة صحيحة.

نقول: العبد يحتاج إلى زمن دُربة على التقوى، ثم هذا تصلح منه المسارعة، وتصلح منه العجلة، يصلح منه هذا كله، فالعجلة والمسارعة ليست صالحة لكل أحد؛ لأنه أحيانًا يقال له: هيا يا جماعة هناك دروس، فيذهب معنا، هيا هناك حفظ قرآن، فيذهب معنا، لكن لا شيء في قلبه، لا إخلاص ولا تقوى ولا إرادة خير، أولًا لابد أن تعالج قلبك.

قد تقولين: عندما يدخل العلم سيُعالج القلب.

نقول: نعم، صحيح، تعال، لكن عندما تأتي وأنت مسرع، وأنت مع القوم، لا بد أن تركِّز، لا أن تذهب فقط وتعود، لابد أن تأخذ التقوى وتدخله إلى قلبك، وتجعله سببًا للجم نفسك.

فوائد التقوى:

نرى آية الطلاق المشهورة التي تُستعمل دائمًا، يقول الله عزَّ وجلَّ: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}[2]، ماذا يفعل الذي يتَّقي الله؟ يكون عنده علم بأن هذا يُرضي الله، أو هذا يُسخط الله، وفي قلبه محبَّة لرضا الله، وخوف أن يسخط الله عليه، ورجاء أن يتصرَّف كما يحب الله.

(1) [سورة طه: 84]

(2) [سورة الطلاق: 4]

مثلًا: شخص عنده علم وعنده كل هذه المشاعر، وتَعَرَّض لأمر لا يحبه الله، ونفسه فيها قبول لهذا الذي لا يحبه الله، قبول ولو نِسْبِي لهذا الأمر الذي لا يحبه الله، أي: ممكن أن تميل، أو ممكن أن تفعل، هي بنفسها ليس لديها مانع، ولديها من علم عن أن هذا يُسخط الله مع حبِّه، ورجائه، وخوفه من سخط الله، هذه الجهة الآن تغلب الجهة التي تقول: افعل ولا حرج، فهو الآن عنده جهة تقول: افعل ولا حرج، وجهة أخرى تقول: لا، بل هناك حرج، الدليل يقول أن هناك حرج، والهوى والنفس واللامبالاة تقول: افعل ولا حرج، فيحصل هناك حرج يمنع (افعل ولا حرج)، فيتَّقي الإنسان السَّخط، وهي معركة الثواني؛ لذلك هذا اسمه: **جهاد**.

إذًا التقوى فيها عاملان لتنجح:

⟵ العلم.

⟵ الجهاد.

فيكون عندك علم، لكن ليس كل من معه علم انتفع بعلمه، كثير من الناس يحفظون ويتلون، وإذا قلت له عبِّر لي عن هذه المسألة يُلقي لك خطبة، مع أدلة وأحاديث، ومواقف وقصص من السلف، لكن تعال إلى الموقف تجده لا شيء.

ما السبب؟ أن معركة التقوى وهي (المجاهدة) غير موجودة، فتفهم بذلك معنى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا}[(1)]، ماذا يعني تجاهد في الله؟

أمامه مرغوب محبوب عليه لافتة تقول: (افعل ولا حرج)، وعلم معه حُب يقول: لا تفعل، فهناك حرج، التقوى هي أن هذا العلم والمحبة يمنع (افعل ولا حرج)، أنت ستقوم بهذه المعركة، ثم ما النتيجة؟

〈 الفائدة الأولى: {يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}[(2)].

مثال: شخص كان مسافرًا، واستيقظ من النوم قريبًا من أذان العصر، وكان يجب أن يتحرَّك بعد العصر مباشرةً، وهو في الفندق وبجانبه الحرم، لكن إلى أن يأتي بسيارته، وإلى أن تسمح له الشرطة بالدخول، وإلى أن يُنزل حقائبه، سيذهب الوقت، فهل يصلي في الفندق ركعتين وهو مسافر؟ أم يصلي في الحرم ثم بعد ذلك يُجعل له من أمره يسرًا؟ الآن هناك معركة، فأنت مسافر، وركعتان في حقك صحيحة، وهذا الكلام صحيح، ومنها تستفيد من الوقت تفعل وتفعل قبل أن يخرج الناس من الصلاة، وتخرج من هذا المكان الضيق إلى آخره، وهناك نَصٌّ آخر وحب، ولاحظي علم وحب، وأن الصلاة هنا بمائة ألف صلاة، أو الصلاة هنا بألف صلاة، فأيهما يغلب؟ الحمد لله غلب عليه العلم والحب فنزل فصلى في الحرم، ولمَّا نزل وصلَّى وخرج من الصلاة، وقد كان في الحرم المدني، وفي الحرم المدني الذي ينزل إلى مواقف السيارات قد يضيع ولا يعرف في أي جهة وضع سيارته، فيقول: خرجت من الحرم، ونزلت السلم الكهربائي فوجدت سيارتي مباشرة، فخرج وذهب إلى جهة الفنادق، فالشرطي الذي كان واقفًا تركه يمر، والممرات والمسارات كانت يسيرة، وأهله

---

(1) [سورة العنكبوت: 69]

(2) [سورة الطلاق: 4]

الذين ينتظرونه بالحقائب كانوا في الشارع، ففي أقل من ربع ساعة فعل كل هذا وخرج بعد أن كان متأزِّمًا، ويقول: نحتاج على الأقل نصف ساعة لنخرج من المكان لكن {يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}.

كم من المرات تركنا طاعات وعبادات على أننا نريد أن نوفِّر هذا الوقت لعمل مهم، فنُشغل بما هو تافه لا قيمة له، ويطول زمن العمل من دون إنتاج!

تقول إحدى الأخوات: كل مرَّة أقرر فيها أن أترك سنَّة العشاء من أجل أن أقضي أحد أعمال المنزل، ففي كل مرَّة أترك فيها سنة العشاء، يُطرق الباب وإذا بالضيوف، فلا صلَّت سنَّة العشاء، ولا قضت الحاجة، أتاها أمر طارئ من الخارج، فمثل هذا افهم عكسه لو أنك اتَّقيت يجعل لك من أمرك يسرًا.

وهذا هو أكثر ما نحن بحاجة له، أن يجعل الله تعالى التيسير في أمور الدنيا والآخرة، أي: تيسير حياتك من المهمات التي أنت بحاجة لها، وتشعر أنه لا يفعلها إلا الله، ولا يأتي به إلا الله، فترى اثنان يفعلان نفس الفعل، أحدهم يقضي زمنًا طويلًا، والآخر يقضي زمنًا قصيرًا، من أين؟ **التيسير من الله**.

إذًا أحد أهم آثار التقوى: أن يجعل الله لك من أمرك يسرًا، لا تتصوَّر أن ترتيبك الذهني هو الذي ييسِّر الأمور، اتَّق الله، تُيسَّر لك الأمور.

﴿ **الفائدة الثانية:** {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}[1].

أنها سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان.

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ} أي: لا يحصل هذا الأمر إلا لمن كان وصفه أنه متَّقٍ، فإذا كان الشخص متَّقيًا، إذا جاءه من الشيطان مَسّ لا يستجيب له، لا يتعامل معه، لا يطول زمن أثر مَسّ الشيطان عليه، وأثر وسوسته عليه.

لذلك دائمًا إذا كنتم تستمعون إلى برنامج نور على الدرب، عندما يرسل أحدهم إليه رسالة يقول له فيها: أنا مبتلى بالوسواس القهري، وهذا مرض منتشر الآن جدًا وله أسباب كثيرة، لكن من أحد أسبابه المهمة جدًا عدم التقوى، فكان الشيخ يسأل الشاب: هل تمارس العادة السرية؟! فهذا سؤال مهم.

ما علاقة العادة السرية والوسواس؟ الممارسة تدل على عدم التقوى، فالممارسة خَفيَّة لا يشعر بها أحد إلا من صاحبها، خفيّة على الناس، فهي فيها معالم عدم التقوى، سيقابله ذلك أن الشيطان يمسُّه بالوسواس، يوسوس له حتى يتحكَّم فيه! ويصبح أرض خصبة له، وهكذا، كلَّما فعل الإنسان أفعالًا تخالف التقوى خصوصًا في خاصة نفسه، أصيب بمرض الوسواس.

هل معنى هذا أنه لا يوجد وسواس إلا من هذا؟ لا، الوسواس له أسباب أخرى، لكن هذا من أعظم الأسباب، وعلى ذلك فالموسوس لابد أن يأتي بالتقوى، ولا تنس أن التقوى ثلاثة عوامل: العلم، مع المحبة، مع العمل (الطاعة أو ترك المعصية).

(1) [سورة الأعراف: 201]

❯ **الفائدة الثالثة:** {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ}[1].

التقوى سبب لتفتيح البركات من السماء والأرض، تُفتح على الخلق بركات، فلمَّا تأتي البركات يصبح كل شيء مبارك، أموالهم، أبناؤهم، بيوتهم، جهودهم.

ما يُقدم لأبنائنا اليوم من خدمات تعليمية، لو قارنتها بالخدمات التعليمية قبل عشرين سنة، ماذا تكون الخدمات التعليمية قبل عشرين سنة؟ لا شيء، وما النتيجة؟

النتيجة أن الآن لا شيء، طيلة المدرسة يقولون قلوبنا مقبوضة، ويوم الجمعة عندهم اكتئاب، يذهبون ويتعلَّمون سِباب جديد للعلم وأهله، أيام الاختبارات يمسكون الكتب ويقولون: أمنيتنا أن نحرقها! فبعد أن وُفِّر كل شيء تكون هذه النتيجة؟!

وهذا على مستوى المدن، والقرى، والدول، ويكاد يكون على مستوى العالم، فبعد أن يتوفَّر العلم وتتوفَّر كل هذه الخدمات، يكون الأثر أنه لا شيء؟! وأن القوم المتعلِّمون هم الذين يزدادون سوءًا أخلاقيًا، وتظهر مافيا الأطباء، وتظهر مافيا المهندسين، فيصبح هؤلاء الأطباء الذين درسوا هم قتلى الناس، والمهندسون يقتلون الناس ويُسقطون عليهم البيوت، هل هذه هي آثار العلم؟ لذلك نُزعت البركات.

بسبب ماذا؟ بسبب عدم التقوى، مع التقوى اليسير ينفع، ومع عدم التقوى الكثير لا ينفع، أنت الآن اترك العالم وفكر في بيتك، إنْ تتق تنزل بركات على بيتك، وأولادك، وحياتك.

❯ **الفائدة الرابعة:** {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا}[2].

التقوى سبب في توفيق العبد في الفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منهما؛ أي أن الفتن لا تنتهي، وكل يوم تسمع في الواقع شيئًا كان حرامًا فأحلُّوه، وفتن لا تنتهي، وآراء في مسائل، فكيف أعرف الحق؟ كلَّما ازددت تُقى، جعل الله-عزَّ وجلَّ-لك نور تعرف به الحق من الباطل.

فتصوَّر، أنت تتَّقي الله، فالعلم القليل الذي عندك مع المحبَّة، ثم يجلس في طاولة مع الذي يقابله من عاداتك وتقاليدك وموروثاتك، ثم تجعل هذا العلم يغلب هذا الموروث، أثره أن يُضاء لك، فالشيء الذي ليس لك فيه علم بَيِّن، أو أن الناس مختلفون فيه، يُلقي الله في قلبك مشاعر البغض له لو كان حرامًا، ومشاعر الرضا عنه لو كان حلالًا.

لذلك هناك كثير من الناس في بلدان العالم يبحثون عن مُعَلِّم على منهج السُّنة يدلُّهم على ربِّهم، يبحثون يمينًا ويسارًا فلا يجدون، فيعبدون الله بعبادة التقوى، ثم يجعل الله لهم فرقانًا، ويرشدهم إلى هذا الذي يبحثون عنه من حيث لا يحتسبون.

مثال: موقف حقيقي، شاب في الحرم كان يصلِّي، وفي الصلاة كان هذا الشخص يدعو أن يجمعه الله بأحد يدلُّه على السُّنة، وفي قلبه حرارة لهذا الأمر، هو متمسِّك بالسُّنة ويعرفها لكنه يخالفها في أعماله وهو لا يدري، فأتته هذه المشاعر؛

(1) [سورة الأعراف: 96]
(2) [سورة الأنفال: 29]

أنه لابد أن يكون هناك من يرشدك، فهذا بنفسه فرقان؛ لأن هناك كثيرون سائرون على ما في رؤوسهم، ويعتبرون أنه دين وسائرون عليه، لكن هذا برغم كل الجهل الذي حوله، لكن الله-عزَّ وجلَّ-جعل له فرقانًا بأن يشعر أنه لابد أن يكون له معلِّم، فكان في الصف يصلي ويدعو الله، ثم يسلِّم من الصلاة، فيجد أمامه اثنين يتحاورون وأحدهم يخرج للآخر كتابًا ويعطيه إياه، فيقفز هذا الشاب ويقول له: أعطني هذا الكتاب فقط أريد أن أراه، ويبدو أن هذا الكتاب كان عن أسماء الله، فرآه، ثم أمسك بتلابيب هذا الذي أخرج الكتاب، وقال له: من المؤكد أنك إجابة الدعاء، دلَّني على الله، لابد أن تدلَّني على الله!

فهو اتَّقى وبحث، وصلَّى خلفه! وهذا أين؟ هذا في الحرم المكي الذي كان الناس فيه هذه السنة، ولله الحمد في أقل الأيام مليونين، فلا يصلي خلف أي أحد ولكن يصلي خلف هذا الرجل، ثم يخرج الكتاب في ذاك التوقيت، ثم من اسم الكتاب يفرِّق أن هؤلاء أهل السُّنة، ثم يُدل على الحق، فماذا تقول؟ {يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا}.

يأتيك بمن يثبِّتك ويَدُلَّك على الحق، أنت لست وحدك، أبدًا، أنت فقط اتَّق، وانظر إلى تأييد الله لك، وانظر كيف ينصرك الله، وكيف يشرح الله-عزَّ وجلَّ-صدرك.

﴿ **الفائدة الخامسة:** {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}[1].

التقوى سبب للخروج من المآزق، وحصول الرِّزق، والسِّعة للمتَّقي من حيث لا يحتسب.

يقول ابن عباس-رضي الله عنه-على هذه الآية: "لو انطبقت السماء على الأرض لجعل الله للمتَّقي أبوابًا يخرج منها!"

أرأيت كيف عندما تضيق الدنيا وتنتهي تمامًا سيخرجك الله، لماذا هذا كله؟ لأنه كانت عندك حاجات مُلحَّة، شيء تريده، لكن تأتي بالعلم عن مساخط الله، وتقول بهذا العلم وبمحبَّة الله: لا تفعل، هذا يُسخط الله.

لكن هذه حاجة بداخل نفسي! نقول: وإن كانت حاجة.

لكنني تربَّيت على هذا الأمر! نقول: وإن كنت تربَّيت.

فمن المؤكَّد أن هذا المنع والتضييق على النفس سيكون أول آثاره أن تُفتح لك أبواب لا تمرُّ على خاطرك، وما ضاق على العبد ضيق وهو متَّق إلا فُرِّج من فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن يساره، ومن أمامه.

فعندما يأتي الفرج للمتَّقي يأتي مُدهشًا! ولهذا في مواقف تكون فيها تقيًّا، وأنت لا تفهم التقوى جيدًا، لكن تكون تقيًّا يوم، أو ثلاثة، أو أربعة أيام ما أكلت، وتعفَّفت أن تطلب أحدًا، وحبست قلبك على الله منتظرًا، فإذا بالجيران يعطونك، وأهلك يتذكرونك ويعطونك، وجارتك التي فوقك تعطيك، وفي المسجد يعملون فطورًا جماعيًّا ويجلبون لك منه، كل هذا في يوم واحد! لتفهم أن الله-عزَّ وجلَّ-حين يُعطي يُدهش، يقول لك: أنا مالك المُلك لمَّا حبست نفسك كان هذا العطاء.

على كل حال {مَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} هذه وحدها تحتاج إلى دورة كاملة، وصُوَرها في الحياة لا تنتهي، وكل مرَّة يحصل في الداخل نقاش ومجاهدة، وهذه هي التقوى، لابد أن يأتي وراءها من عند الله مخرج لكنك لا تعرفه.

(1) [سورة الطلاق: 2-3]

لذلك لا تأتِ لنفسك وتقول: لا يوجد مخرج إلا الحرام، لا يوجد حل إلا أن أختلس، لا يوجد حل إلا أن أتكلَّم عن فلانة من أجل أن أدفع عن نفسي، لا يوجد حل إلا أن أقاطعهم، فنحن دائمًا نضع لأنفسنا أنه لا يوجد حل إلا الحرام، إلا الشيء الذي منعه الله، وهذا مباشرةً يكسر طاولة النقاش في التقوى، فانتهى الأمر، ولا يوجد حل؛ لأنك قررت أن جانب اليسار وجانب الممنوع هو الموجود، والعلم والمحبَّة كل هذا ذهب.

فأنت بهذا طلبت لنفسك الضيق، فَوَالله ما تُرضي أهل الدنيا بالدنيا إلا يزيدون عدم رضا عنك، ووالله ما تأتي إلى فعل يكرهه الله فتفعله إلا وتزداد بلاء في الوقت الذي كنت تريد دفعه، ما تكذب إلا وتزيد المصيبة مصيبة، ما تسرق إلا ويأتي الفقر أنواعًا، وهكذا.

فلا تتصوَّر أن مخالفة أمر الله يأتي بخير، لكن هذا الغرور بسعة حلم الله جعل خلقًا كثيرين يتصوَّرون أنهم عندما لا يتَّقون الله يصلون إلى مرادهم! هذا هو الغرور.

❯ **الفائدة السادسة:** التقوى سبب لنيل الولاية فأولياء الله هم المتّقون.

ما معنى الولاية؟

الولاية: أن يحبك، ويرعاك، وينزل حبك في قلوب خلقه، ينصرك، يؤيدك، يسدِّدك، يجري الخير على يديك، ويجعل لفظك كله صلاحًا.

انظر كيف عندما تدخل مع أحد وتكلِّمه، وتكون تقيًا، ويأتي أحد يكون في ضيق فيستشيرك، فلأنك تقي يُجري الله على لسانك كلمات مباركة تنفع هذا الذي استشارك، فمثلًا يقول لك أحدهم: أنا حالتي كذا وكذا، فتقول له كلمة في صميم حاله، فمن أين لك؟ فلا أنت تكشف-الحمد لله بعيدًا عن البلاءات-، ولا تستعمل الجن، ولا أنت عالم بدقائق حاله، لكن التَّقي ولي، والولي إذا تولَّاه الله جعله مباركًا أينما كان، بقوله، وفعله، حتى اتِّخاذه للقرارات، هذا التعبير المبني على قاعدة من البيانات، يسخِّر الله له من المعلومات ما يصوِّب به قراره، فترى عجبًا.

فمن المواقف العجيبة أن يأتي أصحاب القرار ليتَّخذوا قرارًا، فلو كانوا أتقياء فالله يحجب عنهم أحيانًا بعض المعلومات التي ممكن أن تغيِّر قرارهم الصائب، فهناك معلومات تجعلهم يذهبون يسارًا، ومعلومات تجعلهم يذهبون يمينًا، والصواب هو أن يذهبوا يمينًا، وهم لو رأوا كل المعلومات ربَّما اتَّجهوا يسارًا بعقولهم، فمن رحمته وولايته أن يمنع عنهم المعلومات، حتى لا يأخذون إلا القرار الصائب حتى بدون حيرة.

كله تراه عجبًا من ولايته لهذا التَّقي، والتقوى ما زمنها؟ ما الجهد فيها؟ كلها ثوانٍ، لكن عدوُّك اللدود يمنعك من هذه الثواني، فتصبح بدون لجام تفعل ما يخطر على البال، وإذا أصبح لديك عقل، وفكَّرت فقط في المصلحة الدنيويَّة، لكن أهل التقوى عِلمهم مع محبَّتهم تغلب هواهم.

- **إذًا ما هما العاملان اللذان بهما يصبح العبد تقيًّا؟**

علم ومجاهدة.

العلم: هو العلم عن الله، ثم العلم بمحبوبات الله، والعلم عن الله نفسه سيخرج لي نتيجة وهي محبَّته، والرجاء والخوف، والعلم بمحبوباته ومبغوضاته سيجعل عندي ميزانًا.

والمجاهدة: هي طاولة النقاش، المجاهدة ستجعلني آتي بفكرتي، وموروثاتي، وقناعاتي، وتجاربي، فتجربتي أنني عندما أتعامل مع أناس مستقيمين كلهم كذابين، هذه هي تجربتي، فآتي بتجربتي وأضعها، ثم آتي من الجهة الأخرى بكل النصوص التي تدل على أن أهل الإيمان الحقيقيين لابد أن يكونوا صادقين، فآتي بها بعد النقاش الطويل، وأقول لها: اتَّق الله، ليس كل من قابلت من أهل الاستقامة كذابين، هؤلاء من المؤكَّد إمَّا ضعاف نفوس أو ضعاف إيمان، وإمَّا منافقين تلبسوا بصورة الإيمان، لكن اتَّق الله، لا تقل على كل من استقام أنه كذاب، وأنه يمثل، وأنه يريد مصلحة، اتَّق الله.

فأنت أتيت بتجربتك مع علمك الذي جاءك عن الله؛ أن أهل الإيمان فيهم صدق، أتيت بالاثنين معًا، فالمجاهدة الآن أن تأتي بتجربتك وتضعها، وتقوي جانب ما علمت، وتجعل جانب ما علمت في النقاش يغلب جانب تجربتك، ويغلب جانب طبعك.

مثلًا: إذا كنت غضوبًا، آتي بغضبي وأسبابه، لماذا أنت غضوب؟ ما الذي يغضبك؟ لا أريد أن يطأ أحد على طرفي!

فانظر كيف تكون هذه المواقف لتعرف كيف أن المجتمع يؤهِّل للناس أن يستجيبوا لهواهم.

شخص يذهب ليستخرج رخصة قيادة، وفي نفس التوقيت الذي يستخرج فيها رخصة قيادة يدخل فيها نادٍ لألعاب القوى، لكن ما المناسبة بين الأمرين؟ أنه ينوي من بداية الموضوع أن يستعد لمقاتلة في الشوارع، هذا تفكيره، غضوب، لا يتحمَّل أن يميل عليه أحدهم، أو ينعطف عليه، أو يسبقه، لا يتحمَّل، فهو مستعد، فتصوَّري ذلك.

لماذا هذا الغضب كله؟ ففي مناقشة يقول لكِ: هل يظن أنني ضعيف ولا أقدر عليه؟

أي أن غضبه لنفسه، فهو يمثل انعطافه عليه بالسيارة أن الثاني ضعيف، فهو يمثل صفة الحلم والصبر بالضعف، فيأتي بصفته (الغضب) من رأسها في النقاش، ويأتي بصفة الحلم، وصفة الصبر، ويتناقشوا معًا، فيقول: الصبر والحلم صفات كمال وليست صفات نقص، ونفسه تقول: لا، إنْ سكت عنه فهذا هو الضعف، ويصبح هناك مجاهدة، إلى أن يجعل هذا المفهوم يغلب هذا المفهوم.

وعلى ذلك كل تفاصيل النفس بهذه الصورة إلى أن تصل إلى التقوى.

نعم، نحن نقول: إننا كلَّما ازددنا تجارب مع العلم أصبحنا حكماء. لكن مشكلتنا الآن الكبار الناضجين، الذين هم بدون لجام! لأنهم ما مارسوا التقوى، فالتقوى تدريب وممارسة، فلمّا تمارسها وتذوق طعمها ستسير فيها، وأنت لن تكتشف نفسك إلا في المواقف؛ لذلك نقول: إن التقوى وليدة المواقف.

هناك رسالة للشيخ: ابن عثيمين –رحمه الله–اسمها (**فوائد التقوى في الدنيا والآخرة**).

انتهى اللقاء الأول ولله الحمد، يتبع اللقاء الثاني...

اللقاء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسَّر لنا هذا اللقاء، وأسأله–سبحانه وتعالى–أن يجعله لقاءً مباركًا مرحومًا، اللهم آمين.

لا زلنا نناقش مسألة التقوى، نراجع ما تمت مناقشته ثم نبدأ في العنصر الجديد وهو: فوائد التقوى في الدنيا والآخرة.

ما تعريف التقوى؟

ذكرنا تعريف طلق ابن حبيب، أن تعمل بطاعة الله، أي: تعمل وتترك، بماذا؟ بطاعة الله أو تترك معصية الله، وهذا يكون على نور من الله، أي بعد العلم، فماذا تقصد بهذا؟ ترجو ثوابه وتخاف من عقابه.

- **إذًا التقوى لابد أن يكون فيها ثلاثة عناصر:**

1) العلم.

لابد أن يكون فيها عنصر العلم، فلن تستطيع أن تكون تقيًّا إلا عندما تعرف ماذا ستتَّقي.

2) محبَّة وخوف ورجاء.

3) العمل.

أي أن تطيع أو أن تترك المعصية، فهذا اسمه عمل.

قد يتحقَّق للإنسان العلم، وقد يتحقَّق للإنسان المحبَّة لله والخوف والرجاء، أي: أنه عنده علم، ومحبَّة، وخوف، ورجاء ومع ذلك لا يعمل، لماذا؟

قلنا إن التقوى ثلاثة عناصر: علم، ومحبَّة وخوف ورجاء، ثم عمل، لابد من العمل، ما الذي ينقص شخص عنده علم ومحبَّة وخوف ورجاء حتى يعمل؟ ما هو الشيء الضعيف عنده؟ **الهمَّـة**.

كثير ممَّن عندهم علم، ومحبَّة، وخوف ورجاء تنقصهم همَّة، **من أين تأتي الهمَّة؟** من أين يمكن أن يكون للشخص همَّة للقيام بالعمل؟

المحبَّة والخوف والرجاء، من المفروض أن يأتوا بهمَّة، لكن ضعف المحبَّة والخوف والرجاء، ومع الغفلة عن محابك وما تخاف وما ترجو، فأغفل وأنا سائر، أغفل عن الشيء الذي أحبُّه، أو عن طلب رضا من أحب، أو أغفل عن المخوِّف، فأنت لو كان طيلة الوقت أمام عينيك أن معصية مثلًا تَحْرِم من رزق، أي: أن معصية تساوي حرمان من رزق، فهناك مثلا رزق يطرق بابك، فعصيت الله، فانصرف الرزق منك إلى غيرك، لو تمثَّلتها دون غفلة عنها، ماذا يكون منك؟ الحرص الدائم على أن ترد نفسك عن المعصية.

ولو كان أمام عينيك بوضوح دون غفلة أنك لو شكرت تُزاد، ولو رضيت يُشرح صدرك وتُفتح لك أبواب، لو كان هذا أمام عينيك طيلة الوقت، ماذا يحصل؟ من المؤكَّد أن الذي سيحصل هو العمل.

كلنا الآن سمعنا هذا الكلام، وبعد ذلك نخرج إلى بيوتنا ونعيش الحياة، فتحصل لنا حالة من الغفلة، نريد أمام تعريف التقوى نأتي بالتعريف الذي يقابلها أي: إذا كان الإنسان عنده علم ومحبَّة ويعلم عن الله، وأيضًا عنده محبَّة وخوف ورجاء،

لماذا تأتيه مواقف نجده يعمل ضد ما يعلم؟ إذا عمل ضد ما يعلم، إذًا بدلًا من أن يكون تقيًّا ممكن أن يكون غافلًا، هناك أمر غفل عنه فمن أجل ذلك لم يكن تقيًا، لكن عنده المعلومة، فعندما تذكِّره بالمعلومة يذكرها.

مثلًا: دائمًا في الكلام عن الزوج، نتكلَّم عن شيء اسمه بركة الطاعة، بركة الطاعة ماذا تعني؟ أي أنه قد يكون رأيه مخالفًا لرأيكِ، وأنتِ ترين أن رأيك هو الصواب، وإن كان ذلك في مسمار نضعه في البيت، فأنتِ ترين رأيك هو الصواب، وهو يرى رأيه الصواب، لكن لأنه ولي الأمر فهو القائد وأنت المقود، وهذا هو الدور الذي لا نقبله على أنفسنا! لابد أن تتصوَّري أن لطاعة القائد بركة، وهذا الكلام نحن دائمًا نردِّده، لكن انظري إلى الواقع.

يكون سائرًا في الطريق فيقول لزوجته: سأذهب أولًا أملأ وقود للسيارة ثم أوصلك، فترد: لا، أوصلني أولًا ثم اذهب لتملأ الوقود، هذه مواقف متكرِّرة، ثم يذهبون إلى المكان الذي يريدون إليه قبل أن يملؤوا الوقود، فيجدون المكان مزدحمًا، ويتعقد المشوار، فتقول له: انظر؛ لأنك أنت لا تريد! لو أطاعت فقط، ليُسِّرت السُّبل، لكن هذا التفكير نحن نغفل عنه.

من المفترض أن تعرف المصطلح الشرعي وما يضاده، فالتقوى حال لشخص عنده علم، وعنده محبَّة وخوف ورجاء، هذا العلم مع المحبَّة والخوف والرجاء أنتجا عملًا، فالذي عنده علم وعنده محبَّة وخوف ورجاء، ونحن نكاد نشترك كلنا في هذه الصفة، فنكاد نشترك بأننا كلنا عندنا علم ونعرف ما هو الصواب من الخطأ، ونسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يجعل في قلوبنا محبَّته وخوفه ورجاءه.

بقي السؤال الدائم الذي نسأل به أنفسنا، لماذا لا نعمل؟ أو لماذا نعمل خلاف ما نعلم؟ ما الذي ينقصنا؟

لنسمِّي الحالة (غفلة)، لكن لماذا تأتي الغفلة وليست التقوى؟

التقوى معركة وأنت تجاهد فيها بين النص وقناعاتك التي تحملها، أنت تحمل قناعات من المجتمع، تحمل قناعات من طباعك، تحمل قناعات من أنواع التربية، عندك مجموعة من القناعات، ويقابل هذه القناعات نصوص شرعية، أحكام، فماذا يحصل؟ **ما هي التقوى؟**

معركة بين النص، أو ما هو مثل النص، وبين قناعاتك التي تحملها. ففي المعركة هناك ما يسمَّى بالجهاد، بحيث أنك تُغَلِّب النص ودلالاته على قناعاتك، والتقوى بناءً على فهمنا، هي غلبة النص على القناعة بعد محاورات، وبعد نوع من الجهاد.

ما هي الغفلة؟

- ممكن أن تكون تغليب القناعة على النص، أي: أن طبعي وما تربَّيت عليه هو الذي يغلب، وأحيانًا لا أدخل نقاشًا، ولا آتي بالنص أمام هواي، وأسير على هواي دون أن أعرضه لما عبَّرنا عنه بطاولة المناقشات، فدون أن أعرض هواي الذي أشتهيه على النص وتصبح هناك عملية مجاهدة، أسير في طريقي كما أنا، فهذه هي صورة الغفلة.
- أو أن أضع هواي وقناعاتي أمام النصوص، ثم أكذب على نفسي، وألوي عنق النصوص، وأخرج الحالة التي أنا فيها بأنها حالة خاصة.

مثلا: حديث: ((الحمو الموت))[1] هذا نص، ويقابله أُناس تربَّوا على الاختلاط، أو على أن المرأة تعتقد بما أنها دخلت المنزل وهو طفل صغير سيبقى طفلًا صغيرًا حتى لو بلغ أو تزَّوج، مع أنه حمو! أو آخر عنده قاعدة تقول: إذا كان قلبك نظيفًا فلا عليك، هذه قواعد متعدِّدة، فماذا يحصل؟ إذا كنت من أهل التقوى فالنص هو الذي سيحكم تصرُّفك، فيصبح الحمو الموت بمعنى الحمو الموت، هذه هي التقوى.

الغفلة لها صورتان:

1) صورة وهي أنني لا أفكر في النص أساسًا، ولا أشعر أن النص سيخالف الحال التي أنا فيها، ولا أدخل الحال التي أنا فيها في مكانها.

2) صورة أخرى، وهي أنني آتي بالنص، لكنني أجعل النص لا يدل على الحال التي أنا فيها.

مثلًا: أنت والخدم، تحسن إلى كل الناس، وقلبك يرق لأي حالة تعرض عليك، ثم الخادمة التي عندك في البيت تقولين عنها أنها لا تستحق، أو هذه لئيمة!

أو تسامحين كل الناس، إلا فلانة لا تسامحينها فتقولين: هذه لا ينطبق عليها القانون، ما ينفع معها، لن أسامحها!

هذا نوع من الغفلة ولكنه مقنَّن، أي أنني بعد أن فكَّرت، خرجت بنتيجة أن هذا الشخص لا يصلح عليه تطبيق القانون.

مثلًا: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[2] هل يوجد في الآية استثناء؟ لا يوجد في الآية استثناء، إذًا من أين لك أن تُخرج أنت استثناءات؟! فأكون قد استحضرت النص، وأفهم أن هذا النص ينطبق على هذه الحالة، لكنني أَلْوي عنق النصوص حتى أخرج هذه الحال.

فما العلاج ليتحوَّل العلم والمحبَّة والخوف والرجاء إلى عمل؟

أذكِّركم مرة أخرى أن التقوى: هي عبارة عن مجاهدة بين النص والقناعات التي يحملها الإنسان.

من أين تأتي القناعات؟

القناعات تأتي من التربية، تأتي من مواقف يعيشها الإنسان ويفكر فيها ثم يخرج بهذه النتيجة.

مثلًا: يجرِّب أولًا شخصًا مستقيمًا فيخدعه، أو لنقل: أئمة مساجد، فيذهب لأحدهم ويعطيه أموالًا ثم يكتشف أنه تصرَّف فيها كذا وكذا، ثم يذهب لثانٍ، وثالث، ورابع، فعنده عشر تجارب، كلها تقول في تفكيره هو وفي تجربته: إن كل أئمة المساجد سرقوه، ولنقل إن هؤلاء العشرة مقياس على مليون إمام، فيخرج بنتيجة، فيقول: كل الأئمة كذا وكذا من الأوصاف.

إذًا القناعات تأتي من التربية، وتأتي من التفكير، ومن التجارب، فأنا أجرِّب ثم أخرج بالقناعة، أفسِّر التجارب على حسب تفكيري.

نعود لنفس السؤال: **كيف أحوِّل العلم والمحبَّة إلى عمل؟**

---

(1) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة، 5232

(2) [سورة فصلت:34]

أنا بحاجة إلى أن أحصِّن القناعات، ماذا يعني أحصِّن القناعات؟ أتت هذه القناعات:

- إمَّا من تجربة وأنا أترجمها.
- أو من تربية وأنا مستسلمة لها.

فلابد أن تكون عندك قواعد صحيحة للتفكير من أجل ألَّا تغفل؛ قواعد صحيحة لترجمة المواقف، أي: يُصبح كأن لديك شفرة صحيحة تترجم بها المواقف التي تُعرض عليك أو تعيشها، لكن نحن عندما يصبح عندنا شفرة، وعندنا تفكير سأنتقد حتى الذي تربَّيت عليه.

مثلًا: لو كانت عندي قاعدة في التفكير أن ((من تعلَّق شيئا وُكِل إليه))[1]، أو كانت عندي قاعدة في التفكير أن العبد إذا تعلَّق بغير الله ذاق مُر تعلُّقه.

يعطي لنفسه تفسيرات: إمَّا أن يقول: لا توجد أخوَّة، إذا كان هذا صاحبًا له، أو يقول: هذا لأن الرجل لا يعدل، إذا كانت القصة فيها تعدُّد، إلى آخره، وليست لديه قاعدة في التفكير يترجم بها الحدث كما ينبغي؛ أي: أننا عندنا في الشريعة قواعد للتفكير، من المفروض أن تفهمها جيدًا:

- هناك التفكير الشرعي.
- وهناك التفكير الخرافي.
- وهناك التفكير الهوائي.

التفكير الخرافي: هذا عند أهل المقابر، الولي الفلاني يعطيني، الولي الفلاني يمنعني، لو مسحت عليه يبارك لي...إلى آخره، تفكير أهل الشرك والسحر والشعوذة، ونحن يؤسفنا أن التفكير الخرافي يكثر عند النساء خاصة، وأحد مظاهر التفكير الخرافي ولكن بصورة خفيفة السحر والعين التي دائمًا تسمعها وتطرق بالك، فكثير من المواقف تُفسَّر على أنها عين أو سحر، وهي أبعد ما تكون، فكثير تأخروا في علاج أمراضهم البدنية أو النفسية بسبب هذا التفكير الخرافي.

مثال: مرض الفصام ينتشر بين المراهقين، ما بين 14-28 سنة، وكلَّما أتى ليُعالج يقال: لا، هذه فيها مسٌّ، فيها سحر! وهي في الحقيقة تكون مصابة بأحد الأمراض النفسية، فهذه لو عولجت بجلسات نفسية، أو حتى بعقاقير لتحسَّنت حالتها، وكانت فتحت بيتًا ونجحت، لكنهم يذهبون بها لاتِّجاه آخر مخالف للحقيقة.

التفكير الهوائي: هذا على حسب التربية، والعادات والتقاليد، وما تشتهيه النفس، أي: نسير بطباعنا، وهناك برنامج في إذاعة القرآن اسمه *"تعليم التفكير في القرآن"* ، وهذا مناسب، حتى أنه يناقش مسألة الفكر الخرافي.

إذًا من أين تأتي الغفلة؟

إمَّا لأن الشخص يفكر تفكيرًا خرافيًا، أو تفكيرًا هوائيًا، أي: ما تحوَّل العلم إلى قواعد في التفكير، وما تحوَّل إلى طريقة للحكم على المواقف.

فمثلًا: أقول لكِ: اشرحي اسم الله الرزَّاق، فتشرحينه، تحفظين النصوص وتشرحينه، فتكتبين أن الله يرزق من في السماوات ومن في الأرض، وحتى النملة في جحرها، وتكتبين كل شيء، ثم يأتي الزوج فيقول: أنا اليوم لن أعطيكم كذا،

(1) رواه الترمذي، أبواب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق، 2072

أنا لن أخرجكم للنزهة في الإجازة، فيسمع كلامًا من هنا إلى المدينة! فأنتِ الآن كتبت ورقتين في اسم الله الرزَّاق، أين ذهبت؟

لو كان رزقنا سينشرح صدره، فيأتي التفكير الهوائي فتقول: لا، يجب أن يقف كل شخص عند حَدِّه، ويجب أن يعرف مسؤوليَّاته، فنقول لها: الذي يملك قلبه هو الذي يشرحه أو يقبضه، الآن ما حصلت التقوى، الآن ما هي التقوى؟ أن تعمل بطاعة الله، ما طاعة الله في موقف في مثل هذا الموقف؟ أن ترضى عن الله حتى مع نقص حصل لك، ثم أنك لو فكَّرت جيدًا بأنه عندما لم يأخذكِ للنزهة، أو ما أحضر لكِ هذا الشيء، هذا ليس نقصًا، هذا من باب الرفاهية والزيادة، نحن مع كثر النعم أصبحت الرفاهية عندنا من الأولويات وهي مقياس الرضا وعدم الرضا، نسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين.

فكلمة التفكير أصبحت (موضة) ونحن لا نواكب (الموضة) في التفكير، بل نحن نمتثل للأوامر، قال تعالى: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا}[1]، من أين خرجوا بذلك؟ وكيف فهموا أن ربنا ما خلق هذا الخلق باطلا، وما جرت هذه الأحداث باطلا؟ بعدما تفكّروا كما في أول الآية، ثم أن هناك نصوص كثيرًا تجد فيها {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}[2]، وما معنى {يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ}[3]؟ أي: يا أصحاب العقول التي تفكّرون بها.

إذًا معنى ذلك أن التفكير هذا يكاد يكون أساسًا في ترجمة الأحداث ومن ثمَّ في وقوع التقوى أو الغفلة، فكثير ممن عندهم علم، وعندهم محبَّة يتصرَّفون ضد العلم الذي تعلَّموه، لماذا؟ لأن هذا العلم لم يصبح قاعدة في التفكير، فهذا الشخص يُسمِّع لك أحسن ما يكون، لكن كيف استعملته قاعدة في التفكير؟ كيف أصبح مادة تترجم بها الأحداث؟

مثلا: مُنعت، أتى فلان وقال لك: والله لا تأخذ هذا الشيء، وأنت عندك قاعدة تقول: ***واعلم أن الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضرُّوك***، تكفيك هذه القاعدة، وبكل هدوء ستتعامل مع الموقف، تقول له: كما تريد، لا آخذ، لا بأس لا آخذ، وبداخلك تقولك: والله لو هذا الأمر مكتوب لي سيصلني إلى مكاني، بكل هدوء، عندك قاعدة في التفكير تفسِّر بها الحدث وتتعامل مع الحدث بها.

فالآن ما السبب في عدم وجود التقوى؟ الغفلة.

لكن لماذا الغفلة مع أن عندك علم، لماذا أنت يصدر منك فعل مثل هذا؟ لماذا تغفل عن شيء أنت تحفظه؟

لأن ***المعلوم لم يتحوَّل إلى قاعدة في التفكير***، ليس قاعدة بحيث أنني بمجرَّد أن يحصل لي الحدث أرد نفسي أو أدفعها بناءً على أنني أفكِّر بهذه الطريقة.

وكثيرًا ردَّدنا هذه المواقف التي تتَّصل باسم الله الرب، وهذا من أعظم الأسماء التي تشكِّل لك قاعدة في التفكير، كونك تفهم أن الله-عزَّ وجلَّ-يربِّيك في كل حدث وفي كل مرزوق أو ممنوع، أي: كل شيء أتاك، الله-عزَّ وجلَّ-يربِّيك بأن يوصله لك.

---

(1) [سورة آل عمران: 191]

(2) [سورة البقرة: 219]

(3) [سورة البقرة: 179]

مثلًا: أتمنَّى شيء، وممكن أن أقول لفلانة: ليتكِ تشتري لي معك، وأنا قد بلغت درجة من الذُّل والانكسار والطاعة لربنا، وكان على مثلي، أو يفترض أن أحفظ ماء وجهي ولا أطلب، خصوصًا أنه ليس شيئا ضروريًا، فهذه الآن قاعدة، ردَّتك ولم تجعلك تفكِّر، ثم بعد قليل ومن غير حول لك ولا قوة يأتيك أحد فيقول لك: خُذ، فيعطيك نفس الشيء الذي كنت ستطلبه، وأنت تقول: سبحان الله، والناس من حولك لا يفهمون أنت تسبِّح لماذا، وأنت في داخلك هناك معركة، وعندك قاعدة في التفكير، وقاعدة كوَّنت قناعة، والقناعة هذه كانت صائبة موافقة للتقوى، فمباشرة اتَّفقت وما طلبت، فأتاك الرزق، يعاملك الله باسمه الرب أولًا، ثم الرزَّاق.

الرب: أي يربِّيك، يقال لك: نعم، أنت تسير في الطريق الصحيح.

هذا الآن من ثمرات التقوى؛ وهو أن تجد ما يزيدك ثباتًا، ويزيد هذا العلم يقينًا، ثم تبتعد عن الغفلة، فأنت ترى آثار اسم الله الرب في تربية الخلق وتصحيح أفكارهم، ولهذا من يُرد الله به الهداية من أهل الشرق أو الغرب يبقى عندهم سؤالا مُلحًّا يفكِّرون فيه إلى أن يهتدوا إلى الإسلام عن طريقه، فأصبح ***التفكير عاملًا مهمًّا للتقوى، وغيابه عامل مهم للغفلة***، فلابد من العناية به.

مثلًا: من قواعد التفكير الفاسدة التي قد يكون العرب قد اشتركوا في حملها مسألة الأنساب، وليس نفس الأنساب وإنَّما التفاخر بها، كثير من الناس عندهم قائمة من الجنسيات التي يرون أنهم أحسن منهم، ثم هناك قاعدة محفوظة ومكرَّرة: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1]، هل هذه قاعدة في التفكير نتعامل بها؟ أم أنك ترى أنها غير مستعملة؟ نادرًا ما تستعمل هذه، وأنا أسألك عن أول ردَّة فعل، وأول نظرة لكِ، ماذا ترين؟

في كثير من الأحيان أشعر أنني أحسن منهم، لماذا؟ فتِّشي في نفسك لماذا أنتِ أحسن منهم؟ لا تجدين شيئًا تجيبين به الله-عزَّ وجلَّ-، فمن أجل أن تتَّقي الكِبْر، هذا المرض العظيم، لابد أن تكون القاعدة عندكِ: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} بترجمة المواقف.

مثلًا حالة الغنى والفقر، وهذه تعمُّ الخلق كلهم، أنهم يرون أن الغني من المؤكَّد أنه أحسن من الفقير، ومن المؤكَّد أن ربنا يحب الغني أكثر من الفقير، وأن هذا الفقير لا شيء، لكنه لا شيء في عقلك، ولا تعرف وزنه عند الله.

المقصود نحن إمَّا في حال تقوى أو في حال غفلة، الغفلة ممكن أن تأتي بسبب أن الناس ليس عندهم علم، وبسبب أنهم ليس عندهم محبَّة أو خوف أو رجاء، وبسبب أنهم لا يعملون، فأنا الآن أذهب وآتي وأتردَّد على طلب العلم، وكل يوم أتعلَّم شيئًا جديدًا، سواء أنا بنفسي أو أن هناك من يعلِّمني، وأشعر أن في قلبي حب وخوف ورجاء، وأشعر أنه يزيد بالطاعات، لكن لماذا لا أتصرَّف تصرُّفًا سليمًا في المواقف؟ الجواب: ابحث عن تفكيرك، كيف تفسِّر الحدث في وقته؟ فتفسير الحدث يقوم لك بعملية إثارة.

مثلًا لو كنت في الحج، وأتى أحدهم ودفعكِ-نسأل الله أن يوصلنا إلى الحج ونحن بخير حال-، لو فسَّرت دفعهم على أنه ابتلاء واختبار من الله تصبح عندك حالة من الصبر، وحالة من سؤال الله الحفيظ أن يحفظك، وتطلب منه الواسع-سبحانه وتعالى-أن يوسِّع، لكن لو فسَّرته على أن هؤلاء أصلًا جنس لا يفهم، أو فيهم عنف، أو يستغلُّون أبدانهم في

(1) [سورة الحجرات: 13]

إيذاء المسلمين، أو تعلَّموا من بلادهم أن يأتوا ويؤذوننا، كل هذا الشحن الذي بداخلك وتخيَّل أنك تطوف حول الكعبة وتقوم بركن أو بواجب، وأنت بهذه النفسية! أي قبول هذا تنتظره؟!

إذًا نحن غفلتنا عن التقوى سببها عدم وجود قواعد شرعية صحيحة في التفكير، ماذا نحتاج؟ نحتاج إلى:

- **تقنينها.**
- **والتدريب على التعامل بها.**

تقنينها أي: أنها تصبح قوانين عندك وجمل، كما قلنا إن قيمة الاحترام مثلًا لابد أن تنتشر على مجالاتها، تعظيم الله، توقير النبي-صلى الله عليه وسلم-، احترام الصحابة، بر الوالدين، إلى آخره، ما هو الاحترام؟ ***إعطاء كل ذي حق حقَّه***.

فالاحترام كلمة متَّصلة بكلمة حق، فسيصل الأمر إلى أن تسير في الطريق محسنة إليه، حتى الطريق تُحسن إليه، ماذا يحصل في السلالم الكهربائية في الحرم المكي! والفاعل دائمًا النساء! السلم هذا اسمه طريق، تأتي امرأة فتقف في الوسط، الناس عندما يرتقونه ليس كلهم يقفون عليه، هناك من يرتقيه يصعد السلم، فإذا ما أردت أن تصعدي قفي جهة اليمين، واتركي الناس يصعدون، لكنها لا تشعر أنها فعلت مشكلة، لا تشعر بهذه المشاعر، هذا في الطريق في الحرم، وأناس في الخارج يسيرون، وفجأة قررت أن تقف وانتهى الأمر، لا تقف جهة اليمين، لا، بل في الوسط!

معنى ذلك أن قيمة الاحترام للطريق غير موجودة، فنحن لا نعرف كيف نفكِّر، وهذه هي العلَّة، حتى وأنا معي أولادي وبناتي، من المفترض أن أقول لهم: جهة اليمين، جهة اليمين، والذي يريد أن يسرع يلزم جهة اليسار، هذا أصلًا قانون معروف، لكن حتى هذا القانون لا نعرفه، ما المشكلة؟ أنني أشعر أن هذا الطريق الذي أنا فيه حقِّي، وليس هو الذي له حق عليَّ.

وانظري إلى صورة ذلك في الحرم، وربَّما في الحج لا تظهر هذه الصورة بقوة لأن الحرم في الحج ليس مقصودًا عند الناس إلَّا في الطواف والسعي، لكن في رمضان تظهر هذه الصورة أكثر، وترين كيف عندما يجلس أحدهم، ويتصوَّر أن هذه المساحة التي يجلس فيها حق له، ثم يؤذي الجيران على اليمين وعلى اليسار دون أي مشاعر، وليس عنده مشكلة، وفي الحرم تحصل مواقف كثيرة أن يأتينا أحد يعرفنا ويكلِّمنا، فلمَّا يأتي هذا الضيف في هذه المساحة الضيِّقة فماذا يحصل؟ يجلس على سجادة الجيران دون أن يفكِّر أن هذا خطأ وليس من حقِّه!

المقصد أن عندك قاعدة: ***أعط كل ذي حقٍ حقَّه***، لابد أن تفكِّر ما حقوق الخلق وتدرِّب نفسك على أن تعطي كل ذي حق حقَّه وتتأمَّل، الآن الذين يستأجرون في الأعياد استراحات، أو يسافرون ويسكنون في فنادق، هذه عين مؤجَّرة لها حق ستحاسب عنها يوم القيامة، فترك أولادك يتلفون الممتلكات هذا نوع من أنواع عدم إعطاء الحق ستحاسب عنه، وإلا ما هي كلمة المسؤولية؟ كلمة المسؤولية أي أنك ستُسأل، وماذا يعني أنك ستُسأل؟ أي: أنك تصرَّفت تصرفات تخالف الشريعة.

الآن الاستراحة ليست بيتنا نخرِّبها ونخرج، ولا إشكال لدينا، وهذا يصدر من أناس راقين، ومرتَّبين في بيوتهم، لكن انتهى الموضوع في الخارج!

على كل حال، هذا موضوع مهما كرَّرنا فيه لا زلنا نحتاج إلى شيء من العمق في طرحه، لكن في النهاية:

(**1**) **قنّن القواعد التفكيريَّة الشرعيَّة.**

(**2**) **تدرب عليها.**

هناك قواعد لا تتصوَّرها، أنت اقرأ فقط في كتاب الله وستجد، دائمًا تتكرَّر علينا هذه القاعدة: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[1]، هذه قاعدة في التفكير، فالمطلوب مني الآن أن أدفع بالتي هي أحسن، والنتيجة ستراها ولو بعد حين.

إذًا ضد التقوى: الغفلة.

ما هي الغفلة؟

أن يكون هناك مشكلة في أحد ثلاثة عناصر، لكن المنتشر بين طلبة العلم، والمنتشر بين المستقيمين هو غياب العنصر الثالث وهو (العمل)؛ لذلك تجد كثيرًا من الناس يلومونك، بأن عندك علم وتتصرَّف هكذا؟! أو أن عندك علم وتكون سفيهًا بهذه الصورة؟! لأنهم يتصوَّرون أن العلم سيؤثِّر على تفكيرك، وتفكيرك سيؤثِّر على سلوكك، وصَحَّ لهم أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، فبقي علينا أن نراجع أنفسنا، إلى أي درجة ما استعملنا العلم في قواعد التفكير، وإن شاء الله نفرد لقاءً خاصًّا في ذكر بعض قواعد التفكير[2] من أجل التدرُّب عليها، وتدريب أولادنا أيضًا عليها، وتبقى هذه الجمل ترن فتصبح قواعد في تفكيرهم، وفي ترجمة المواقف والأحداث.

ننتقل للكلام حول فوائد التقوى، ذكرنا في المرة الماضية

فوائد التقوى:

〉 **الفائدة الأولى: التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان.**

قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}[3]، وقال –عزَّ وجلَّ-: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}[4].

نرى هذه الفائدة وضدها، إذا كانت التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان، فمن المؤكَّد أن ضد التقوى سيكون سببًا لتعسير أمور الإنسان، واليسر والتعسير أمر نسبيّ، أي: أنه يتفاوت على حسب الموقف.

مثلًا: أنا ذاهبة لتسجيل ابنتي في جامعة أو مدرسة أو مكان يمكن أن يكون وراءه طلب رشوة، أنت تتصوَّر أنك لو رشوت سيتيسَّر الأمر، ولا تتصوَّر أن هذا خلاف التقوى، وبما أنك خالفت التقوى ستتعسَّر ولو بعد حين.

مثلًا: تريد أن تبني، ولتخرج ورقة البناء لابد أن ترشو أحدًا، هذا شخص رشا أحدهم ثم أخذ ورقة البناء، صحيح أنه أخذها بيديه، لكن الحديد ارتفع سعره، والمهندس سرقه، والكهرباء ما قبلوا أن يدخلوها!

---

(1) [سورة فصلت: 34]

(2) انظر (قواعد في بناء النفس) من مدونة علم ينتفع به.

(3) [سورة الطلاق: 4]

(4) [سورة الليل: 5-7]

إذًا يجب أن تفهم أن التيسير أمر نسبيّ، أن أتَّقي وأصبر حتى أُخرج الورقة في أسبوع، أو شهر، أو سنة، لكن هذا يساوي تيسيرًا طويل المدى؛ لأنهم يقولون لك: تقولون إن التقوى تُسبِّب التيسير وأنا منذ سنة وأنا متَّقٍ وما رضيت أن أرشو أحدًا، وها أنا ذا في مكاني ما تحرَّكت، وما قبلوا أن يعطوني!

نقول: التيسير أمر نسبيّ، أنت اتَّق هنا وانجح، ستكسب مكسبين في نفس الوقت:

الأول: ستكون من أهل التقوى الذين يحبهم الله، وهذا أهم شيء.

الثاني: صحيح أن هذا ظاهره التعسير، لكنه سيأتي التيسير طويل المدى.

لذلك في أربعة مواطن في كتاب الله أو أكثر اقترنت التقوى بالصبر، وهذا عامل غاية في الأهمية، كأنه يقال لك: لن تكون تقيًّا إلا إذا أتيت بعامل الصبر، أقربها وأكثرها حفظًا لنا موقف يوسف-عليه السلام-: {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[1]، فأنت ستكون محسنًا في تقواك إذا أضفت للتقوى الصبر.

فعندما تسمع أن التقوى سببًا للتيسير، لا تتصوَّر أن هذا التيسير هو التيسير المباشر دائمًا، لا، بل أنا الآن أتَّقي الله في تربية أولادي، أي: أنني أعلِّمهم الصواب، مع أن الصواب فيه صعوبة، كأن آتي للمراهق وأوقظه لصلاة الفجر، ونظل أكثر من نصف ساعة نحاول إيقاظه، لكن هذه التقوى مع الصبر على المدى الطويل ستكون أنت بسببها من المحسنين، وستأتي بآثارها على المدى الطويل، فأنا اتَّقيت الله وأيقظته، ومع ذلك هنا مخالفات منه، نقول: لا بأس، فالتيسير يأتي على المدى الطويل، فمشكلة غالب الشباب والشابات الذين في سن المراهقة وما بعد، أنهم عاشوا-وبالذات في زمننا هذا-على الوجبات السريعة، وعلى الطرق السريعة، وعلى الاتصالات السريعة، أرأيت كيف يكون هذا السريع السريع! فَولَّد في نفسيَّاتهم أن ما يريدونه لابد أن يأتي سريعًا، لكن عندما يكبرون سيفهمون أن هذا الذي أتى سريعًا لابد أن يذهب سريعًا، ولا أثر له.

لذلك من قواعد التفكير المهمة بالذَّات للشباب: **من تعجَّل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه!**

كثير ممَّن تعجَّل إشباع الحاجة الجنسية بصورة غير سويَّة، لابد أن يفقد الصورة الطبيعية في سن مبكِّرة، مثلًا يكون عمرها 14 أو 15 تمارس أنواعًا من الممارسات المخالفة أيًّا كان نوع الممارسة، المهم أنها تريد أن تُشبع هذه الحاجة في نفسها، فلا تصل إلى سن الخامسة والثلاثين، أو السادسة والثلاثين إلا وتكون امرأة غير صالحة، ولا تجد القدرة التي تجدها باقي النساء، لماذا؟ لأن من تعجَّل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه.

فهذه قاعدة في التفكير مهمة، والشاهد أن الإنسان الآن لابد أن يتصور أن آثار التقوى ليست كلها عاجلة، بل على المدى الطويل، فتقواك ستيسر لك، لكن ليس الآن، وإن كان من آثار اسم الرب أن يثبت فيك الفهم، لكن إن سرت في طريق التقوى لن تجد دائمًا الأثر سريعًا.

إذًا التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان ولو على المدى الطويل، لا تستعجل وتتصوَّر أن كل شيء هنا الآن، بل ستجده على المدى الطويل؛ لذلك من قرائن التقوى ويسبب درجة الإحسان: الصبر، وهذا الصبر مفقود من الكبير والصغير.

(1) [سورة يوسف: 90]

الفائدة الثانية: التقوى سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان.

تعلمون أن العبد تأتيه نقاط ضعف يستولي الشيطان فيها عليه، فإذا كان طبع هذا الإنسان أنه غضوب، ثم حارب وتدرَّب على ألَّا يكون غضوبًا، ثم يأتي في موقف لا يَتَّقي، ولا يتصرَّف كما يُملي عليه الشرع، فكأن الوقت الذي لا يَتَّقي فيه فتح نافذة للشيطان ليدخل منها، فإذا دخل منها تحكَّم فيه.

والتقي ماذا يفعل؟ التقي عبد يَسُد على الشيطان مداخله. بمعنى: أن التقوى سبب لحصانتك، وليس شرطًا في نفس الأمر الذي لم تتقِ فيه.

مثلًا: عاملت أحدًا ماليًّا، وبقي له عشر هللات، فلم أخبره ولم أعطه إياه، وقلت في نفسي: هذه العشر هللات ماذا ستفعل! هذا شخص تصرَّف بضد التقوى، ثم ذهب إلى بيته، ودخل فوجد امرأته لم تحسن صنع الطعام، وهو منذ سنوات يجاهد الغضب، لا يريد أن يغضب، فلمَّا دخل ووجدها ما أحسنت صنع الطعام، هذه العشر هللات فتحت نافذة في قلبه، ودخل منها الشيطان وجلس، فبمجرَّد أن حصلت ثائرة غضب، وهو لا يعرف أن يربط أن ضعَفا في التقوى سبَّب تمكن الشيطان هنا، ثم يقول: سنين وأنا هادئ، أو شهور وأنا متمكن من نفسي ولا أغضب، ما الذي مكن الشيطان مني الآن؟! هذه العشر هللات؛ تركك للتقوى فتح منفذًا للشيطان.

وعلى هذا دَرِّب نفسك وفكِّر في حياتك، العبد يرتفع درجات ويكون من أهل التقوى، فنحن لسنا سواء، كلٌّ منَّا يرتفع نتيجة العلم، والمحبَّة، والخوف، والرجاء، ونتيجة التطبيق يرتفع درجات، فكلَّما ارتفعت زادت حصانتك، وكلَّما ارتفعت زاد قربك من الله، وحرص الشيطان عليك، فإذا زاد حرصًا، وأنت فتحت له ولو فتحة بسيطة، دخل بخيله ورَجْلِه عليك! فبعد أن تكون في القمة في نفسيتك، وفي قبولك للأوضاع والأحوال، تسقط على رأسك.

لذلك كثير من الناس يفسِّرون هذه الحال قائلين: لأنها كُبتت؛ لأنها أمسكت نفسها، أتاها اكتئاب. إلى آخره، والقصة الحقيقية أن عدوك عندما يراك تقدمت، ويراك في الدور الأعلى يبغض هذا، فتأتيك لحظة تترك فيها التقوى، فينفذ من هذا المكان ثم يلقي بك من الأعلى إلى الأسفل، تتصرَّف تصرفًا لم تكن تفعله سابقًا.

مثلًا: له سنوات وهو غضوب، ولم يمر على خاطره قط أن يطلِّق زوجته بسبب الغضب، والآن تدرَّب وبقي شهورًا لا يغضب، ثم قام بترك التقوى، فدخل الشيطان، قد يصل الحال أن يقول لها: أنتِ طالق!

فالتقوى تدفع الشيطان، وتحميك من ضرره؛ لذلك: إن الذين اتّقوا يقوون على شياطينهم، يصبح عندهم حاجز صد، {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}[1]

من الذي سيذكِّرهم؟ الله-عزَّ وجلَّ-يذكِّرهم.

لماذا يذكِّرهم؟ لما معهم من تقوى.

أي: أن جزاء أنه كان تقيًا في هذا الموقف البسيط الطفيف يُذكَّر بأن هذا من الشيطان، وأن هذا يريد بكم شرًا، يُذكَّر بأن هذا لا يليق بك، ويُذكَّر بأن هذا التصرف ليس أنت من يفعله.

{فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} نعم، يتبصَّرون، ما هو السلوك السوي ما الذي يجب أن يبقى في عقولهم؟

(1) [سورة الأعراف: 201]

وهذا ضد الغفلة؛ لأنك إمَّا أن تكون بصيرًا أو غافلًا، معنى ذلك: أنك لا بد أن تتصوَّر أن من جزاء ترك التقوى في مواطن، ضعف القدرة على التصرُّف السَّوي، فيصبح لا نور لك، قال تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}[1]، فأنت طيلة حياتك واتِّخاذك للقرارات بحاجة إلى نور تمشي به، فهذا النور الذي تمشي به أحد أسبابه المهمة أن تكون تقيًا.

واتَّفقنا أن التقوى أن يكون عندك علم ومحبة فتعمل على رضا الله بما يحب الله، فأنت تفهم أن في هذا الموقف يجب أن ترضى، وفي هذا الموقف يجب أن تُطيع، وفي هذا الموقف يجب أن تشكر، فهذه هي التقوى بالضبط، في كل موقف تتصرَّف كما يحب الله، تأتيك مواقف تفقد فيها التقوى، ويكون جزاءه أن يُسلِّط عليك الشيطان، وتكون تقيًا فيأتيك الشيطان، فيكون معك الرحمن يصدُّه عنك، فإذا بك مبصر تعرف كيف تتصرَّف.

إذًا التقوى سبب لحفظ النور من العدو؛ لأن العدو يحب إطفاء نورك.

〉 الفائدة الثالثة: **التقوى سبب لفتح البركات من السماء والأرض.**

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ} ماذا تكون النتيجة؟ {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}[2].

فأنت الآن تتَّقي، وتبتعد عمَّا لا يحب الله، سواء كان في عمل قلبك أو عمل جوارحك، وتعمل بما يحبُّه الله سواء كان في عمل قلبك أو عمل جوارحك، فكل مفقود يُرد إليك، وكل ناقص يُكمَّل لك.

مثلًا: نحن ينقص علينا من هذا الزوج عناية بشأن الأبناء، فكثير من النساء خصوصًا عندما تبدأ الدوامات والدراسة، والآباء قد يكون عندهم شيء من التفلُّت وعدم الاهتمام، فتقول له: احضر كذا من المكتبة فلا يحضر، افعل كذا فلا يفعل، اشترِ لهم كذا فلا يشتري لهم، يقول لها: فيما بعد. كل حسب عذره، فنحن نشتكيه ونشتكي الله معه لكل من يقابلنا، أشتكي زوجي عند أمه، وعند أمي، ولو أتاني ضيوف كذلك، والجيران أيضًا لهم نصيب، كل هذا سبب لإغلاق باب البركات، فالأمر كان اختبارًا، هو قال: لن أحضر. أو قال: إن شاء الله أتذكَّر وأنا ذاهب. من الذي سيذكِّره ويليِّن قلبه؟ الله تعالى، أنا ليس عندي إلَّا الله، أنا أَتقي الله فيه، ثم يُفتح باب البركات، أنتِ من تردِّين عن نفسك باب البركات. تقولين له: افعل، فيرد: لن أفعل. فتثورين عليه، لا تتَّقي الله في هذا الموقف، ففي هذا الموقف إذا أردتِ أن تعملي بطاعة الله على نور من الله، يقال لكِ: ارضي، وسلِّمي، وسيأتيكِ رزقكِ، ولو كان مكتوبًا، لو اجتمع هو وكل من في الأرض لن يمنعوه، فاصبري، سيأتيكِ.

أمَّا نحن فيكون جوابنا: أصبر إلى متى؟ إلى أن تنتهي السنة؟ هذا الكلام الذي نقوله، وكأن الرزَّاق لا يعلم متى الوقت المناسب الذي يرزقك فيه هذا الرزق.

على كل حال، نحن عدم رضانا هو عدم رضا عن الله، وليس عن الأشخاص، فننسى أنفسنا ونتصوَّر أن هذا هو الذي يعطينا.

---

(1) [سورة الأنعام:122]

(2) [سورة الأعراف: 96]

المقصد: لابد أن نؤمن أن الله عزيز حكيم، ولو أراد شيئًا إنَّما يقول له: كن فيكون. لكن هذا اختبار لك، خصوصًا عندما تعِظ أحدًا فيقول لك: أنت غير شاعر بي، ولا تعرف ما معنى أن يقول لك أولادك: أعطنا. ولا تجد، إذًا اطلب الذي يُعطي، اطلب الرزَّاق، لكن هذا الزوج ما حكمه عند الله؟ نحن لا علاقة لنا بحكمه عند الله، أنت لك موقف تعيشه والمطلوب منك أن تتَّقي، فلا تفكِّر في حُكمه عند الله.

عندما تحصل الإشكالات العائلية يظهر المتَّقي من غير المتَّقي، انظري إلى سورة الطلاق، وانظري إلى الكلام حول الطلاق، كم مرَّة تجدين كلامًا عن التقوى، فكأنه يقال: إن هذه الأحوال العائلية تُبنى على التقوى، فأنا ممكن أن أهيج وأهيِّج نفسي وأهيِّج المجتمع كله، وعلى شيء في داخلي لا أحد يعرف حقيقته، لكنني أهيِّج كل الناس.

وهناك مواقف ممكن أن تكون شاهدة ضد الرجل، وكل الناس ممكن أن يجتمعون على أنه هو المخطئ، لكنني في داخلي أعرف أنه ليس المخطئ لأنني أنا التي قمت بالعمليَّة الأساسيَّة، أو أنا التي أثرته، إلى آخره.

المقصود أن تعلم أن من آثار التقوى أنها تفتح لك البركات، وأنه لا بد أن تأتي في التقوى امتحانات؛ لذلك قال تعالى: {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ} بعد أن يأتي الاختبار.

تعلمون أن الصحابة امتُحنت تقواهم، وامتُحنت قلوبهم للتقوى، ومن أحد الأمثلة المشهورة في امتحان قلوبهم للتقوى، ما أخبر به-سبحانه وتعالى-أنهم سيُبتلون بصيد تناله أيديهم ورماحهم، هل تتصوَّرين صيدًا تناله يد؟! الصيد يتناوله الرمح، السهم، لكن منذ متى الناس يصيدون بأيديهم؟! الناس يصيدون برماحهم، وبشباكهم، لكن من شدَّة البلاء كان الطير أو غيره يسير ببطء ليمسكوه بأيديهم، فإلى هذه الدرجة كان البلاء! {تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ}[1]، ما المطلوب؟ أي: أن مع قربه واشتهاء النفس له، وأصل حلِّه، لكن الآن من البلاء ألَّا تمد يدك له، مع أن يدك متمكِّنة له، فتصوَّري هذا الجهاد الذي في الداخل، المطلوب منك أن تشل يدك، وتغض بصرك، وتمنع شهوة نفسك بأنك تشتهيه، مع أنه أصلًا طيِّبٌ حلال، لكن لأنك الآن معتمر أو حاج ممنوع أن تأخذ منه، فهذا هو امتحان التقوى، ثم نجحوا في الاختبار، ففُتحت عليهم بركات من السماء، وبقي ذكرهم خالدًا إلى قيام الساعة، يترضى عنهم أهل الإيمان دائمًا.

هذا من أنواع فتح البركات، أن يرفع الله ذكرك، هذه من أنواع البركات التي تنزل على الخلق، بتقوى اتَّقيتها ما تأخذ منك ثواني، وهل تعرف أن التقوى لا تحتمل عددا كثيرًا من الثواني! هناك أناس كثيرون أقوياء لو اتَّخذوا قرارًا لأنفسهم يلتزموه، وكل القصة أن تجاهد بين النص وبين ما تشتهيه نفسك، فيغلب النص ما تشتهي نفسك فتقف عنده، فمباشرة تُفتح عليك بركات من السماء، ليست أرزاق، بل بركات، وهذه الكلمة لها معناها وصلتها بالتقوى، أي: **أن الشخص التقي تنزل عليه البركات بحيث يصبح مباركًا أينما كان.**

تتَّقي؛ فيأتيك أحد يستشيرك ويقول لك: أنا عندي هذه مشكلة. فتقول له كلمة تصلح دينه ودنياه، وأنت في موقف سريع، وهذا كان يُذْكَر عن الشيخ ابن باز-رحمه الله-، أنه كان يستشيره الناس وهو يسير في الحرم، فكان يقول لكل واحد منهم ما يصلح دينه ودنياه، كأنه فكَّر طويلًا وأن المشكلة عُرضت عليه سابقًا! لكن هذا من آثار البركة، أن يصلح حتى تفكيرك، حتى منطقك، حتى كلامك، حتى فهمك للأمور، فتُرزق الحكمة الخفيَّة.

(1) [سورة المائدة: 94]

وكل هذا من بركات لحظة تقوى، ثم من المؤكَّد أنك ستُمتحن أكثر، ففي أول الأمر تكون هناك لحظة تقوى، ثم هناك ساعة تقوى، ثم يوم تقوى، ثم سنة تقوى، من المؤكَّد أنك سترتفع، وكلَّما زاد زمن الاختبار، من الجهة الأخرى زادت البركات وكنت مباركًا أينما كنت، ثم أنعم الله-عزَّ وجلَّ-عليك بالسيرة العطرة فانتفع بك من حولك، وتبقى سيرتك عطرة، فها هو الشيخ ابن باز توفَّاه الله من 1421هـ، ونحن في 1431هـ، ما تخلو دورة من الدورات العلمية في المملكة أو في غيرها من رسالة من رسائله تُدرس، ولا زال طيب ذكره في دول العالم الإسلامي كله، هذا كله يقول لك: إن الشخص عندما يكون تقيًّا تنزل عليه البركات، والبركات شيء آخر مختلف عن الأرزاق، شيء أعلى من الرزق، رزق قليل تجده مبارك، فِكْر مبارك، بدن مبارك، كلام مبارك، صحبة مباركة، إلى آخره.

لا زلنا نتكلَّم عن آثار التقوى وفوائدها في الدنيا، ذكرنا ثلاثة فوائد:

الأولى: سبب لتيسير أمور الإنسان.

الثانية: سبب لحمايته من الشيطان.

الثالثة: سبب لفتح البركات من السماء والأرض.

〉 الفائدة الرابعة: سببٌ في توفيق العبد في الفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منهما.

وهذه الأهميَّة تُبني على معرفتك أن الاختبار في الدنيا هذا مداره، أنت في الحياة مبتلى بأن تدخل في مواقف الحق فيها ظاهر، والباطل فيها ظاهر، والاختبار هنا هو أن يغلب الحق هواك وتسير على الحق، هذا نوع من الاختبارات، هناك نوع آخر وهو أن تدخل في نوع من المسائل، يكون الحق فيها والباطل يشتبهان، فهناك تشابه بين الحق والباطل، بمعنى أنك في لحظة لا تستطيع أن تفرِّق أيهما الحق، وأيهما الباطل، وهذا كثير في حياة الأتقياء، أنهم يتعرَّضون لمواقف يكونون في شبهة؛ هل التصرُّف الذي سأقوم به حق أم باطل؟ هل ردَّة فعلي هذه تابعة لهواي أم حقيقة؟ خصوصًا عندما تأتي إلى مواقف تجد فيها أن المجتمع من حولك منقسم في وجهة النظر إلى قسمين، أو أن المجتمع جاهل في حقيقة المسألة، فتجد من يؤيِّدك على هذا، وتجد من لا يؤيِّدك، فتزداد الحيرة!

ثم تسأل أحدًا من أهل العلم فيعطيك ضابطًا لا تستطيع أن تطبِّقه على حالتك، فيزداد الأمر حيرة، فالمجتمع غير واضح فيه الرأي في مثل هذا الموقف، ما الحل؟

الحل يكون من أول الأمر، كلَّما كانت حالتك أنك تتَّقي مساخط الله، وهذا حال قام في قلبك، أنك حريص على ألَّا تقع فيما يغضب الله، يكون أثر هذا الحرص نور، وفرقان، وصرف للباطل عنك، وجلب لقوى الحق إليك، فيصبح عندك نور، ويصبح عندك فرقان، نتيجة صدق قلبك في إرادة رضا الله تعالى، فهذه هي التقوى، أنك تريد حقيقةً أن تفعل ما يرضي الله، فماذا يكون أثره؟

أمران: نور وفرقان.

- **نور**: أي يتبيَّن لك الصواب من الخطأ.
- **فرقان**: أي يبتعد عنك الباطل ويأتيك الحق.

كيف أعرف صدقي في طلب التقوى؟

كلَّما عُرض عليك أمر لك فيه هوى، والأمر مشتبه هل يحبه الله أو لا يحبه، تقول لنفسك: مهما كان هذا الأمر يوافق هواي، لو تبيَّن لي أنه لا يرضي الله لن أذوق منه لقمة، لن آخذ منه قطعة، فيكون في قلبي خوف، فالتَّقي خائف أن يخطو خطوة تنزلق بها قدمه، التَّقي يحمل هم الحساب، يحمل هم لقاء الله.

ذكرنا كلام عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-، قال جملة جميلة

قال: **(التَّقي مُلجَّم)**، مثل الخيل، ملَّجمة الفم، ليس كل ما يمر على خاطره أو يريده يستجيب له، ونحن مشكلتنا أننا كلَّما مرَّ على خاطرنا شيء، إمَّا لا نفكِّر ما هذا عند الله، أو نفكِّر ونعطي أنفسنا التصاريح اللازمة للقيام بالعمل، أي للتصرُّف، وهذه حالة الالتواء الدائم هي ما تسمَّى بالمخادعة؛ لذلك ستكون هناك علاقة قوية جدًا بين التقوى والإيمان من جهة، وترك التقوى والنفاق من جهة أخرى.

أي: إذا تُركت التقوى، فصار الإنسان ليس بتقي، يتحوَّل فيصبح منافقًا، ومن النوع الأكبر (نفاقًا أكبرًا)! وأنتم تذكرون آيات سورة الحديد: {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى}، ثم ذكروا لهم أربعة أسباب {ولكنكم فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ}، هذه الأسباب الأربعة من ورائها الشيطان {وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[1]، هناك فرق بين من يُبتلى بفتنة وبين من يفتن نفسه.

مثلًا: تأتيك وظيفة فيها اختلاط، النصوص كلها تأمرك بحفظ نفسك، وتسمع أن يوسف -عليه السلام- استبق الباب، وتسمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول كذا وكذا من النصوص، وفي الجهة الأخرى شخص يقول: أنا متأكِّد من نفسي، أنا واثق من نفسي، أنا تربيتي مختلفة! فكيف يفتن نفسه؟ يعتمد على الثِّقة في نفسه المضادة للنص، فبقدميه يذهب إلى الفتنة.

مثلًا: نقول لأحدهم: هذا النوع من التجارة المشبوهة، فاليوم التجارة المشبوهة لا حد لها، ومن المؤكَّد أنك ترى في صفحات الإنترنت أنواع من التجارة تُعرض عليك وأنت في البيت، كأن يقال لك: هات فقط خمسة عملاء لهذا المنتج وخذ نسبة كذا وكذا، أنواع من التجارة، وهنا النص يقول: {وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}[2]، والرِّبا كلمة تدخل تحتها تفاصيل، ومن جهة أخرى الهوى يقول: هذا بيع، لكن هذا بيع بناءً على ماذا؟ ماذا تفهم في هذه المسألة لتحكم بأن هذا بيع وليس صورة من صور الرِّبا، أو صورة من الصور المحرمة؟! ففي البيع والشراء -وليس الرِّبا فقط هو المحرم- هناك صور أخرى محرَّمة، وأنت لا تعرف في الاقتصاد الإسلامي، ولا تعرف في الفقه الإسلامي، ولا شيء! لكن منذ بداية الأمر لأنك تريد وضعت على المعاملة علامة صح دون أية مناقشة، ويأتي في خاطرك خاطر يقول لك: انتبه أن يكون ربا، فترد: لا، ليس ربا. فتصحِّح لنفسك المسألة.

{فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ} أنت بقدميك سرت إلى فتنة مع أنك لم تضطر إلى ذلك، فليست الشيء الذي ابتليت به وانحصرت به حياتك، بل صفحة من صفحات الإنترنت فتحتها فوجدت أناسا يبيعون، وظهر لك إعلان خلال تصفحك: هل تريد

(1) [سورة الحديد: 14]

(2) [سورة البقرة: 275]

أن تكون كذا؟ هل تريد أن تكسب 100 دولار في الأسبوع؟ فتقول: نعم، تريد ذلك، وتسترسل معه، فتكون فتنت نفسك.

لكن التقي ماذا يقول؟ لا أريد 100 دولار، ولا أريد حتى 10 دولارات، لا أريد الطرق المشبوهة، ويضع عليه علامة خطأ ويغلق الصفحة التي عرضت عليه، وانتهى الأمر.

وهذا مختلف عمَّا إذا كان الإنسان مفتونًا وابتلي، أي: أن هناك في البيت أحد ابتلي به، حالته كذا وكذا، أو تعرَّض لابتلاء واجهه في نفسه، أو في طبعه، أو في أولاده، أو في زوجه، أو في جاره، أو في عمله، فهناك فرق بين أن تبتلى بصيد تناله يدك أو رمحك، وبين أن تذهب أنت بقدميك لتبحث عن فتنة، بناءً على أنك تقول لنفسك: أنا تربَّيت بشكل صحيح، وقلبي سليم، وأنا جرَّبت سابقًا ووجدت نفسي أستطيع أن أفعل. كل هذا يؤدِّي إلى أن تزل قدمه، ثم لمَّا تحصل المواقف تقول: أنا وقع في قلبي احتقار لنفسي، لم أكن أتصوَّر أن نفسي بهذا الشكل.

من كنت ترى نفسك! كان من المفترض أن تخاف، هذا الخوف الذي نريد أن نخرجه من نفوسنا مع أنه ينفعنا، المشكلة أننا كلَّما انتهينا من بعض الألفاظ التي تُطلق على المستقيمين تأتينا ألفاظ جديدة، فنخاف منها، فعندما تكون خائفًا ولا تريد أن تدخل في أيَّة معاملة يسمُّونك موسوسًا، فتخاف أن تكون موسوسًا، فيصبح لديك قوة وطاقة، وبسرعة تريد أن تدخل في كل شيء، لا، ليس بهذه الصورة، بل التَّقي حريص، يخشى أن تنزلق قدمه، يخشى أن يفتن نفسه، وعندما يقول لك أحدهم وأنت موظَّف مثلًا: كن مدير إدارة، أهل الدنيا ماذا يقع في قلوبهم حين يقال لهم: لتصبحوا مدراء؟ ماذا سألبس عندما أصبح مديرا؟ وإذا كان قسم النساء تقول ماذا سأضع أمامي؟ كيف سأضع اسمي؟ كيف سيكون مكتبي؟ كيف سيكون ترتيبه؟ فهذا أمر واقع، وكل هذا من آثار مشاعر الفرح.

وآخر يشعر أن مصيبة وقعت على رأسه؛ لأن ظلمًا منه سيتعلَّق به يوم القيامة، فيقول لنفسه: إلَّا ظلم الناس. وأنا أشعر عن نفسي بأنني سأكون عادلًا، وأنني أفضل الموجود! إلى آخر مشاعرنا تجاه أنفسنا.

قد يقال: يوسف-عليه السلام-قال: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ}[1] نقول: نعم، صحيح، لكنهم كانوا أهل باطل وهو كان معه الحق، وكانوا هم أهل الشرك، وهو من أهل التوحيد، وكانوا هم من أهل الفساد، وهو من أهل الصلاح، فالتباين واضح، كانوا هم من أهل الجاهلية، وهو رسول يوحى إليه، من المؤكَّد أنه سيكون هناك فرق، فأنت عندما ترى أنهم كلهم فاسدون، في هذا الوقت نقول لك: نعم، تقدَّم، تقدَّم على خوف، لكن لا أن تفتن نفسك.

المقصد أن هناك علاقة قوية ضدية بين التقوى والنفاق، لابد أن تُتقن في الفهم، التقوى سبب في أن يكون معك نور وفرقان.

لديك نوعان من أنواع البلايا في الحياة:

1. نوع واضح فيه الحق من الباطل، وبقي عليك أن تغلب هواك لتسير في الحق.

مثلا: أنا وجارتي بيننا مشكلة، والحق لا يحتاج إلى نقاش، الحق هو {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[2].

(1) [سورة يوسف: 55]
(2) [سورة فصلت: 34]

2. وهناك نوع آخر من المشاكل، وهو أنك لو كوَّنت الآن علاقة سيسبِّب ذلك دخولك في مزالق جديدة.

ففي أحيان كثيرة زميلات في المدرسة متخاصمين، تخاصموا بعد طول علاقة قوية، فأنتِ تقولين: لابد أن نصلح بينهم، هذا الموقف يتجاذبه أمران:

الأمر الأول: أنه نعم، لا بد من العلاقات الحسنة والصداقة.

والأمر الثاني: ما الذي كانت تخبِّئه هذه العلاقة؟! ما الذي كان بينهم؟! قد يكون وراءها من الفساد الشيء العظيم.

مثلًا أكون مشرفة اجتماعية، وهذه المشكلة حصلت عندي في المدرسة، والبنات انقسموا إلى حزبين، وأصبح الناس يصلحون بينهم، ثم أتوا يشتكون إليّ، وأنا في هذا الموقف هل الحق بيّن أو ممكن أن يكون مشتبه؟ في الأغلب أنه مشتبه.

إذًا من أين لك نور وفرقان؟ من تقواك، وأنت معك تقوى سيكون هناك فرقان بين الحق والباطل، يُلقي الله في قلبك أن الأفضل بقاء هذه العلاقة منقطعة، ويكونون فقط محترمين، ويحترمون أنفسهم، وكل واحدة تسلِّم على الأخرى، وتنتهي إلى هنا، ثم أجمعهم وأقول لهم: أنتم أحرار في مشاعركم وأحاسيسكم، وفي رغبتكم ألا تلتقوا، ولكن كل واحدة لها على الأخرى حق السلام، ولا داعي لكثرة الكلام، وانتهى الأمر، فيصبح معك نور وفرقان.

إذًا أحيانًا تكون في موقف مشتبه، وتأتيك بلاءات مشتبهة، فنتيجة ما معك من التقوى يرزقك الله فرقانًا تفرِّق به بين الحق والباطل.

مثلا: بِتَّ تاركًا لعمل صالح، وبِتَّ معتديًا على أمر كان من المفروض أن تتَّقيه، ونمت متأخِّرًا وما اتَّقيت ألَّا توتر، ثم قمت، ومن طول السهر ما اعتدلت في سنة الفجر، ولا تدري ماذا قلت في صلاة الفجر، ومن شدة النعاس نمت على السجادة وما أكملت أذكارك، وكل هذا وأنت في الليل سهرت وما اتَّقيت هذا كله، وستصبح صباحًا وتذهب إلى المدرسة، هل عندما يحصل لك مثل تلك المشكلة يصبح معك فرقان؟ الجواب: لا.

فأنت تبات تقيًّا تصبح ذا نور وفرقان، تبات تاركًا للتقوى تكون النتيجة عكسية.

انظري إلى ليلة الجمعة بالذات وما يحصل فيها، لا أحد يتَّقي أن يخسر يوم الجمعة، نهار الجمعة وليلته (بعد مغرب يوم الخميس) غالبًا اجتماعاتنا واحتفالاتنا في هذه الأيام، وكلَّما قلت لابنك: نم يا بني. يقول لك: غدًا جمعة، فلأنها جمعة يجب أن تتَّقي السهر، فكم ساعة هي المستجابة هذه! لو أخذنا على أرجى الأقوال إنها بعد العصر، أنت كنت ساهرًا بالأمس، وبالكاد قمت وصليت الجمعة، وإذا كانوا نساء بالكاد صلَّوا الظهر في البيت، هذا وإن لم يؤخِّروه إلى الساعة الثانية أو الثالثة، وبالكاد قرأت سورة الكهف، ثم من العصر إلى المغرب، هذا من المؤكد أنه وقت قيلولتك؛ لأنك كنت ساهرًا، وإذا بقيت مستيقظًا وتصبَّرت لا تعرف ماذا تقول، تقول الأذكار وأنت مغمض العينين، فأين التقوى؟ أين كونك تتَّقي أن تضيّع يوم الجمعة!

غنائم تعرض عليك في اليوم والليلة، ثم نحن لا نتَّقي أن نضيِّعها، لا نخاف أن تضيع علينا، ثم ماذا تريد أن تصبح يوم السبت بعدما تركت تقوى ضياع هذه الساعة المباركة؟ ماذا تنتظر!

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ}[1] إذا حصل منكم الشرط، يأتيكم جواب الشرط {يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا}.

إذًا فوائد التقوى من آية الأنفال:

أول الأمر {يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا} أي أنه من آثار التقوى والإيمان أن يكون هناك فرقان، وهذا أكثر ما نحتاجه، أنتِ تحتاجين إلى الفرقان وأنت أُم تأخذين قرارات، وتحتاجين الفرقان وأنتِ زوجة تتعاملين مع زوجك، وأنتِ تحتاجين الفرقان، وأنت جارة تعاملين جاراتك، تحتاجين الفرقان وأنتِ معلِّمة في مدرستك، وأنتِ موظفة على مكتبك، وهذا بائع ومشتري، وهذا تاجر، وهذا بنَّاء، تحتاج أن يكون لك فرقانًا ونورًا، هذه حاجة من الحاجات الأساسية.

الحياة مثل هذه القاعة لكنها مظلمة، وأنت سائر فيها لا تعرف ما هو الموضوع، فعندما تسير تتخبَّط، فكيف لو قيل لك: خُذ هذا مصباح، ثم هذا المصباح كَبُر وأصبح نورًا أعظم، كيف لو أناروا لك كل القاعة؟ من المؤكَّد أن الموضوع مختلف، ومن المؤكَّد أنك ستعرف ماذا تتَّقي، ومن أين تمشي، وكيف تدخل، وكيف تخرج، فهذه هي صورة الحياة، قاعة مظلمة طُلب منك أن تسير فيها وقيل لك: إن تتَّق بقلبك تُضاء لك الحياة، وتعرف كيف تأخذ القرارات أيًّا كان موقفك.

ولذلك يعجز كثير من الناس عن إبداء رأي في مشكلة، ومهما كنت على قدر من الفهم لا أستطيع أن أبدي رأيًا في هذه المشكلة.

مثلًا: ظاهرة مثل ظاهرة التَّرَجُّل في المجتمع العربي والإسلامي، ونحن لم تصبح ظاهرة عندنا-نسأل الله أن يدفعها دفعًا- مجرَّد أشخاص شاذين، لكن على مستوى العالم الإسلامي موجودة، ظاهرة مثل هذه الظاهرة تنقسم في حالاتها إلى ثلاثة أقسام:

- **الأول:** مرضى يحتاجون إلى مصحَّات لعلاجهم.
- **الثاني:** أتباع مقلِّدون.
- **الثالث:** من أخذهم العناد، أخذتهم محاولة إثبات الذَّات.

إذًا المريضة أُدخلها المستشفى، والتابعة أجلس معها وأقول لها: يجب أن تكون لكِ شخصيتك المستقلة ولا تقلِّدي أحدًا، لكن ماذا عن التي أخذها مرض العناد؟ لا أستطيع أن أفعل لها شيئًا، أنا عاجزة أمامها، على الأقل عندما تُعرض عليَّ الحالات يكون عندي نور وفرقان، فأعرف أن هذه تعاند فلا أضيّع معها وقتي، وأقول لها: يا ابنتي أنتِ صاحبة القرار، إذا أردتِ أن تصبحي إنسانة مستقيمة ويقبلك المجتمع اتركي هذا، وإذا ما أردت ذلك فلن يتحطَّم إلا أنتِ، وأضع جهدي في المريضة، والتي تقلِّد، هذا اسمه نور وفرقان، وليس كل المشاكل أستطيع أن أحلها، لكن على الأقل أعرف ما الذي يمكنني حلَّه.

هذا الكلام بالذَّات لمن كان على ثغرة، فنحن نصبح ونمسي في مشاكل لا نعرف ماذا نفعل بها، مسؤوليات ملقاة على عاتقنا، فلدينا بيوت، ويجب ألا أُهز نفسية أولادي، فاتركي عنكِ المكاتب، لنفكِّر في بيوتنا، أنا عندي ثلاثة أو أربعة أطفال، ومن المفترض أن أخرج نفسياتهم سوية.

---

(1) [سورة الأنفال: 29]

مثلا أمرٌ مع الزوج بمشكلة عظيمة، أمرٌ بضائقة مالية، كيف يمكن أن أحافظ على نفسية هؤلاء؟ ما هي الكلمات التي يفترض أن تجري على لساني حتى يبقى هؤلاء بكرامتهم وعزَّتهم ونفسيَّتهم جيدة؟ لا يعينك إلا الله-عزَّ وجلَّ-، يرزقك نورًا وفرقانًا، لكن متى؟ عندما أكون سائرة في التقوى، وأخاف أن أَزِل، وحريصة تمامًا على رضاه، أريد رضاك يا ربي لا رضا أي أحد.

لذلك احسب خطواتك، فنحن كما نعاني ممَّن يتكلَّم قبل أن يفكِّر-هذه ظاهرة تكاد تكون مطبَّقة علينا، في أي مجلس نتكلَّم قبل أن نفكِّر، ثم نفكِّر فيما تكلَّمنا فيه-كذلك نعاني من أنفسنا أننا نتصرَّف قبل أن نفكِّر، نخرج ردَّة الفعل قبل أن نفكِّر هل هذا يرضي الله أو لا يرضيه؟ نضع أقدامنا في الطرق قبل أن نسأل أنفسنا هل هذه الخطوة نافعة وتصلحنا أم أنها لا تصلحنا عند الله؟ فهذا هو ترك التقوى.

فإذا كنت من أهل التقوى وُفِّقت في أن تفرِّق بين الحق والباطل، ولا بد أن تفهم أنك في غاية الحاجة للتفريق بين الحق والباطل؛ لأنك طيلة الطريق يُعرض عليك حقًا وباطلًا، لا تشعر أن هذا فقط عند أصحاب القرار، بل في كل موقف يُعرض عليك حق وباطل، خصوصًا اليوم مع ما ترى من متشابهات، كل يوم في المسائل التي كانت يقينًا مقطوع أنها حرام، يأتينا كلام أنها: لا، يمكن أن تكون حلالا! فتصوَّر وأنت تسير في الطريق تجد كل الثوابت التي أنت تعرف أنها ممنوعة يمكن أن يحولوها لك إلى مسموحة، فأين الفرقان الذي معك الذي يجعلك تتَّقي!

〉 الفائدة الخامسة: سبب للخروج من المآزق، وحصول الرزق، والسعة للمتَّقي من حيث لا يحتسب.

هذه تُشابه ما مضى، لكن الزيادة في (من حيث لا تحتسب) الذي مضى أنا أفكِّر والتقوى سبب لفرقان، ففي فكرك يكون هناك نور وتفريق، وهنا كأنه يقال لك: أنت قرَّرت أن تتَّقي، وقلت: والله لا آخذ الحرام، والله لا أطلب من أحد وأذل نفسي لغير الله، سأتعلَّق بالله، سأصبر من أجل ألَّا يسألني الله: لماذا قلت كذا أو فعلت كذا؟

بمعنى تصبر وتتقي مساخطه، وتسير وتشعر أن الطريق مسدود، فتقول: أنا الآن لو ما طلبت وذُللت للناس لن أجد شيئًا أطعمه وأُطعم أولادي، بمعنى أن التقوى في عرف الناس وتفكيرهم في بعض المواقف تؤدِّي إلى طريق مسدود في الحياة.

مثلا: لو عاملت الخادمة بهذه الصورة في النهاية ستتمرَّد عليك، في تصورهم هكذا تكون نهاية هذه الأمور، وهي قناعاتهم.

يقال لكِ: لو سرتِ متَّقية وتصرَّفتِ لأن الله أمرك بكذا، وامتنعتِ عن التصرُّف خوفًا من عدم رضا الله، النتيجة الحتمية عند كل الناس ستنقلب وتكون مخالفة عندكِ، ويرزقكِ من حيث لا تحتسبين.

ويقال لك: إذا سكت على كذا وكذا، أو على حقَّك، أو على تصرُّف فلان، فكل من في المكتب سيتصرَّفون مثل هذا التصرُّف، كل الخدم سينقلبون عليك، هكذا يقال لك.

فماذا ترد وتقول؟ تقول: أنا عاملته من أجل الله. فيجعل الله تقواك سبب لاجتماع قلوبهم عليك وليس لانصرافها، هذه حسبة أخرى لا تمر على الخاطر؛ والسَّبب أنك اتَّقيت، فنحن عندنا في تفكيرنا، وفي قناعاتنا، وفي تجاربنا، أنك لو ما حزمت عليهم، ولو ما فعلت لهم كذا، النتيجة أنهم يتفلَّتون! وأنت حبست لسانك أن تعتدي عليه، وحبست يدك أن تخصم من راتبه تقوى لله، وهذا في أمرك الذي يخصُّك وليس في أمر دولة، لكن في بيتك وفي مالك، وفعلت هذا من

أجل الله؛ فالنتيجة أن الله يجمع قلوبهم عليك. وكان المتوقَّع أن يزدادوا إهمالًا، ويزدادوا تركًا، لكن لأنك كنت تقيًّا، عاملك الله بالتقوى، عاملك الله بآثار التقوى.

أو بالعكس، كلهم يخوِّفونك ويقولون لك: لا تشتكي فلانًا-ويكون هذا الشخص تاركًا لعمله، ومهملًا له، ومضيِّعًا لحقوق الناس-ويقولون لك: ما دمت تعمل في الدولة فلا عليك، بما أنهم يعطوك راتبك فلا إشكال. فتقول: صحيح أنهم يعطوني راتبي، لكن من التقوى الحفاظ على مصالح المسلمين. فتكتب فيه شكوى، فيقولون لك: سيعيدون الشكوى إليك، وأنت ستكون أول من يتضرَّر، وأنت لا تعرف فلان، إلى آخر هذا الكلام، فتقول: أنا لم أرفع هذه الورقة عداوة له، ولكنني رفعتها من أجل مصالح المسلمين، أتَّقي الله أن يسألني يوم القيامة ماذا فعلت في الثَّغرة التي أنت فيها، فالكل ينتظر أنك أنت الذي ستُبعد، لكنك تُرزق من حيث لا تحتسب، ما دمت ما أردت إلا وجه الله.

فهذا الموقف نفسه للذي عنده تجربة سابقة، كتب الشكوى لشيء في نفسه على هذا الشخص، فكان من الجزاء أن يعود عليه البلاء، أمَّا أنت فكتبت لا تريد بذلك إلا وجه الله، فكان الجزاء أن يرفعك الله ويزيله هو، فيرزقك من حيث لا تحتسب.

الناس يحسبون هذه الحسابات، وأنت لا تخاف إلَّا من الله؛ لهذا كثيرًا ما نعاني اليوم من أشخاص يعرفون عن سَحرة وكهنة، ينصبون على الناس ويأخذون أموالهم وينشرون السِّحر في البلاد، فنقول لها: يا ابنتي اكتبي. فتقول: لا، أخاف. فنقول: هذا الخوف قد يصل إلى الخوف الشِّركي، إذا كنتِ تعتقدين أنهم يملكون من أمرك شيء.

فالمقصود أن نتَّقي، الذي لا يعامل إلا الله سيتقدَّم أو يتأخَّر، فليس شرطًا أن يكون كل مرَّة العفو، ولكن على حسب الموقف، فلو أن المسلمون متضرِّرون سأشتكي المتسبِّب بالضرر حتى يكف.

مثلًا: على مستوى العالم الإسلامي سكوت بعض الأطباء على بعضهم في كثير من المستشفيات سبب لموت كثير من المرضى، فيكون مثلًا المتسبِّب رئيس قسم، فيقول الطبيب: أنا لو اشتكيته سيعيد الشكوى إليَّ سيحصل لي كذا وكذا! فأنت اتَّق الله واجعل سبب شكواك أن تحفظ أرواح المسلمين، وسترى كيف يعاملك الله، لا أن تشتكي عندما تغضب عليه، أو عندما يكون في نفسك شيء عليه شخصيًا، بل اشتكيه من أجل تقوى الله.

فما المقصود بـ (يرزقك من حيث لا تحتسب)؟

أي أن الناس يحتسبون أمورًا، ويتصوَّرون بعقولهم نتائج للتقوى، فلو كنت تقيًا على الحقيقة تُرزق بصورة أنت لا تحتسبها أبدًا، لا تمر في بالك، كل الناس يتصوَّرون أنك لو عفوت، سيستهين بك الناس، فيُلقي الله بسبب عفوك المحبَّة في قلوبهم، مثل موقف ابن عمر-رضي الله عنهما-كان له غِلمان-أي عبيد-وكان حين يرى منهم التفاتًا للصلاة يعتقهم، فكان الغلمان يأتون أمامه ويصلُّون، فقيل له: يخدعونك يا ابن عمر، وكلمة (يخدعونك) مثل كلمة (أنت ضعيف الشخصية ويمكن خداعك)، فقال لهم: "من خدعنا لله انخدعنا له"!

فكان يعامل الله -عزَّ وجلَّ-، ثم ابن عمر ممَّن عُرف بكثرة أرزاقه من أغنياء الصحابة، فكان يعتق من جهة ويأتيه الخير الكثير من جهة أخرى؛ لأنه يعامل الله، لكننا لو قيل لنا: إن تصرُّفك يدل على ضعف الشخصية. أنقلِب رأسًا على عقب! ألم يرد في الحديث ((الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لَئِيمٌ))[1] بلى.

(خِبٌّ لئيم) أي: أن قلبه ممتلئ بمصالحه، وفيه لؤم، لكنك يا مؤمن (غِرٌّ كريم) تعامل الناس على ظواهرهم، ولا تريد إلا وجهه -سبحانه وتعالى- لذلك يأتي منك الكرم بلا حساب.

إذًا التقوى سبب الخروج من المآزق وحصول الرزق والسِّعة للمتقي من حيث لا يحتسب، فالناس يحسبون حسابات وأنت مع تقواك تجد مالا تتوقَّعه.

ننتقل إلى السادسة، وهذه من أعظم الفوائد.

〈 الفائدة السادسة: سبب لنيل الولاية فأولياء الله هم المتَّقون.

كيف يكون الإنسان وليًّا لله -بنَصّ وليس بكلام-؟

من مصالح الولاية: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[2]، لكن هناك نص يتَّضح الأمر فيه بالتفصيل، ((كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا))[3] تكون تقيًّا فتصبح حركاتك كلها في طريق التقوى، فهذه زائدة على مسألة اتخاذ القرار فقط.

في البداية اتَّفقنا أنه يصبح لك نورًا وفرقانًا بين الحق والباطل، فوَقْت اتخاذك للقرار عندك كل المعطيات واضحة، وهنا المسألة أعلى، هنا يكون سمعك الذي تسمع به، فهل تتصوَّر كيف يكون سمعك الذي تسمع به؟! شخص لديه ترجمة فورية لكل الأحداث بما يزيد إيمانك.

تصوَّر الأمر هكذا: القلب عبارة عن وعاء، إمَّا أن يُصب فيه الإيمان، أو يُصب فيه ضده، ومادة الإيمان هي ما تسمع (من القرآن، والحديث النبوي، والقصص، والمواقف التي تمرُّ عليك) فلمَّا يكون الله سمعك الذي تسمع به، ما تسمعه مباشرة يُترجم مباشرة بترجمة تصب الإيمان في قلبك.

مثلًا: يمرُّ عليك موقف اثنان يتحاسدان، وهو موقف يُحكى لك وأنت تسمعه، ولا علاقة لك بالموقف، لكن يقع في قلبك وتشعر بأن الإنسان لابد أن يرضى عن الله، ويرضى عن الرزق الذي أعطاه إيَّاه الله، ويؤمن أنه ليس كل شيء يكون في الدنيا، وهذان لو آمنا بهذا كله لهدأت نفوسهم، وأنت لا تفكِّر في أحداث الموقف بقدر ما يصبُّ في أذنك فيتحوَّل إلى سبب لزيادة الإيمان، فتقول لنفسك كما يقول أحد السلف: **"ما خرجت من بيتي ووقعت عيني على شيء إلا كانت لي فيه عبرة"**.

لماذا له فيه عبرة؟ لأنه يرى بنور الله، فكان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، فتصوَّر كل حواسك تكسب من أجل أن تزيد إيمانك، طيلة الوقت تكسب حواسك بما يزيد إيمانك، فهذا هو أثر الولاية.

---

(1) رواه البخاري، الأدب المفرد، باب ما ذكر في المكر والخديعة 418، صحَّحه الألباني

(2) [سورة يونس: 62]

(3) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، 6502

أول الحديث: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ))[1] لكن الكلام الآن عن الجزاء، إذا أحبَّه الله، هذه هي الولاية، فالولاية تعني أن الله يحبك، فإذا أحببته، كان الجزاء أنه كان سمعه الذي يسمع به، بصره الذي يبصر به.

فالله-عزَّ وجلَّ-يجازي العبد بأن يحفظ عليه سمعه وبصره وحواسه، **ما معنى أن يُحفظ عليك سمعك وبصرك وحواسك؟**

أي: أن الله-عزَّ وجلَّ-يجعل كل الذي يحيط بك سبب لزيادة إيمانك، يجعل كل المسموعات سبب لحفظ الإيمان وزيادته، أي: يحفظ عليك إيمانك ويزيده، ويجعل كل المبصرات التي تبصرها سببًا لزيادة إيمانك-نسأل الله أن يحفظ الجميع-، لكن حين ترى مثلًا شخصًا وقع في السُّكر، وأنت محفوظ، فأنت سترى هذا المنظر، والحفظ لا يعني أنك لا ترى، بل ترى، لكن عندما تترجم هذا الموقف تشتعل فيك نار الشكر على نعمة الهداية، ويحصل في قلبك مشاعر أنك تتوسَّل إلى الله أن يحفظك، تخاف على نفسك من أن تفتن، وتسأل الله أن يحفظ أبناء المسلمين.

لَقْطة في دقيقة سبَّبت أنواعًا من زيادة الإيمان في قلبك، من سؤال الله أن يحفظك، وشكر الله على النعمة التي أنت فيها، وسؤال الله أن يحفظ المسلمين وشبابهم، وسؤال الله أن يجعلك سببًا في ردِّ هذا الشر عن المسلمين، وأن يجعل في قلبك حرارة بأن تمر على كل الشباب وتنبِّههم أن هذه هي الصورة الأخيرة، فتصبح مباركًا في نفسك ومباركًا في غيرك.

لمَّا يكون الله سمعك الذي تسمع به، وتسمع آية تقع في أعماق قلبك، فتنتفع بها وتنفع بها الناس الذين من حولك، كل هذا من آثار الولاية.

من الذي سيكون وليًّا؟ المتَّقي.

فإذا كنت تقيًّا كنت لله وليًّا، تولاك الله

- فإذا تولَّاك الله ما سرت إلا إلى ما يرضي الله.
- إذا تولَّاك الله ما قلت إلا ما يرضي الله.
- إذا تولَّاك الله لا تسمع إلا ما يرضي الله.

يرضي الله أي: أنك تتصرَّف بما يزيد إيمانك، تتصرَّف من منطلق الإيمان.

في آية الجاثية هناك مقابلة بين صنفين، يقول الله-عزَّ وجلَّ-: {وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ}[2]، أي أن هذا ظالم، {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}، فمن هنا ما ضد التقوى؟ الظلم.

فعلى ذلك التقوى لو كانت ضد الظلم فماذا سيكون معناها؟ الظلم تعدِّي الحقوق، فتصبح التقوى: إعطاء كل ذي حق حقَّه، فتكون تقيًّا فتعط أصحاب الحقوق حقوقهم، وهذا الكلام سيفيدنا في المستقبل؛ وهو الكلام عن العلاقة بين الظلم والتقوى.

› **الفائدة السابعة: التقوى سبب لعدم الخوف من ضرر وكيد الكافرين.**

(1) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، 6502

(2) [سورة الجاثية: 19]

يقول تعالى: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}[1] الخوف من الكيد، سواء كان كيد الكافرين أو كيد الكائدين عمومًا، فالآن هناك من أهل النفاق ممن يحيطون بنا منافقون نفاقًا أكبرًا، ولهم نصيب من كلمة كافر، فأنتم تعرفون أن النفاق الأكبر في الدرك الأسفل من النار، وأنت بعيد عن الكفار الذين هم كفار الملَّة، لكن قريب منك كفَّار النفاق، ومن حولك ويحيطون بك، لو أشهرت وأظهرت نصرتك للدين قاموا عليك، بالذَّات في هذا العصر الذي نعيشه، قاموا عليك في صفحات الإنترنت، قاموا عليك في الجرائد، قاموا عليك في المكاتب، فماذا تفعل؟ **احمل الحق واصبر على حمله**.

{لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى}[2] أي: كلام فقط، يؤذونكم به، يؤذون به مسامعكم، لكن لا تجعلوا الكلام سببًا لامتناعكم عن الصبر والتقوى، فالتقوى والصبر يولِّدان للعبد قوة، هذه القوة تمنع العبد من ترك أماكن الخير، من ترك العمل الصالح، من ترك نفع المسلمين.

فلو مرَّ بك موقف استفزّك: فإمَّا أن تفقد صبرك وتقواك، أو تكون تقيًا وصاحب صبر وكأنك ما سمعت شيئًا، وممكن أن يكون هناك حالة ثالثة وهي أن يكون عندك ضعف، لكنك من الداخل تغلي عليها.

المقصد: أن بالصبر والتقوى يقوى العبد، ويَقْوى خصوصا حين يسمع الوعد؛ أنه لا يضرُّكم كيدهم شيئًا، فلا تخف، بما أن الحق معك لا تخف.

لكن أهم شيء عندما يكون معك الحق لا تريد به المباهاة، بل تريد الحق للحق، ومعك صبر.

على كل حال، المقصود أن حربًا ستقوم عليك يا متَّقٍ، وتحتاج إلى دربة، ونحن منذ البداية نقول: إن نفس التقوى تحتاج إلى دربة؛ لذلك عامل الصبر مهم مع التقوى، أنت ستقوم عليك حرب لو تعلَّمت، خصوصًا بمقاييس التعليم الآن، أي أنك تذهب وتأتي، وتذهب وتأتي، خصوصًا لمن يذهبون إلى المعاهد الشرعية، ولمن يحفظون قرآن. لابد أن تؤذى، وأحيانا تؤذى بالمعيار الثقيل، فتكون على صفحات الإنترنت وفي الجرائد، أو تؤذى بمعيار بسيط مثلًا في البيت، أو عند الجيران فيُستهزأ بك، فيقال: لا ندري ماذا ستصبح آخر الآمر!

ما المقصود؟ **تقوَّى**، بالتقوى تقوى، لابد أن تشعر بهذه المشاعر، ثم ستأتيك كلمة جميلة خلال النقاش: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[3] وهذه الكلمة تشرح الصدر، ونحن لا نفكر في بدايات الأمور، دائما بدايات الأمور تكون ضعيفة، ناقصة، لكن العاقبة لمن؟ {لِلْمُتَّقِينَ}، وهذه وحدها تحتاج منَّا إلى مشاعر قبل الفهم الدقيق، أن العاقبة للمتقين، فلو اتَّقيت الله وسرت في طريقك مهما كادوا سيقوِّيك الله.

وهذه رسالة لكل من هو على ثغرة ينفع بها المسلمين، وبنات المسلمين، والمجتمع الإسلامي:

---

(1)[سورة آل عمران: 120]

(2) [سورة آل عمران: 111]

(3) [سورة القصص: 83]

لا تَخْشَ كيد أحد صغيرًا كان أو كبيرًا، اخش فقط أن تنفلت نفسك من بين جنبيك، هذا الذي تخافه، لا تخف أحدًا من الخارج أبدًا، كل تفكيرك أن تكون تقيًّا كما يحب الله، صابرًا كما يحب الله، والله معك {إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[1]، {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[2]، فماذا أكثر من هذه المنزلة ؟!

لن يضرُّوك {لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}، وفي الآية الأخرى {إِلاَّ أَذًى}، مجرَّد كلام، شيء لا يُذكر، فاصبر عليه من أجل الله.

هل كان سينتشر الدين لو ما صبر النبي-صلى الله عليه وسلم-والصحابة الكرام؟ لكنهم صبروا صبرًا كان أثره ما ترى، فكلما قوي الأذى وزاد الصبر امتد الأثر سنينًا.

ومما يحكى عن الشيخ السعدي-رحمه الله-صاحب التفسير وتلاميذه، وكان من بينهم الشيخ البسام والشيخ ابن عثيمين، فيُحكى أنه من صبره على التدريس أنه كان لا يوجد عنده طلاب، فيأتي وكان من المفترض أن يكون هناك خمسة أو ستة طلاب، فيأتي ولا يجد أحدًا، ولا واحدًا منهم، ومرَّة وجد طالبًا واحدًا، ومرَّة وجد كتاب أحدهم كان منتظرًا ثم ذهب، لكن أميزهم صبرًا كان الشيخ ابن عثيمين، وكان أولًا صبر الشيخ السعدي على التدريس، أنه يدرس واحدًا، ثم صبر التلميذ على أن يطلب ويكون واحدًا عند الشيخ وليس هناك غيره، لا أن يقول: أنا تفتر عزيمتي ولا أجد أحدًا.

فبمقدار ما حصل من صبر، كانت العاقبة له، فأبرز طلاب الشيخ السعدي هو الشيخ ابن عثيمين، وفيما يُروى أنه أكثرهم صبرًا، فلابد أن تفهم النسبة والتناسب، فكأن الصورة تقول لك: **على قدر ما يكون معك من صبر، تكون العاقبة أكثر طولًا وعرضًا ونفعًا لك وللمسلمين.**

أحيانا العداوة الخارجية تجعلنا نقول: كما يفعلون سأفعل معهم، وكما يفعلون سأرد عليهم، هذا ليس فيه صبر ولا تقوى، فأحيانا العداء الخارجي يفقدك تقواك، فمثلًا يكتبون فيك ويفترون عليك، فتقول: ما داموا افتروا أنا سأريهم، أنا أعرف أن أفتري مثلهم، نقول لك: لا، هنا ذهبت التقوى، وليس بهذه الصورة ستنصف.

❯ الفائدة الثامنة: سبب لنزول المدد من السماء عند الشدائد ولقاء الأعداء.

آية آل عمران، وهذه غزوة بدر، وهذا كلام عن نصر الله تعالى لأهل بدر:

قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ (124) بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ}.

النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول للمؤمنين: لابد أن تطمئنوا بما أن ربكم سينزل عليكم هذا العدد من الملائكة.

{بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ} ماذا سيحصل؟ {وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم} المعنى: أن الله-عزَّ وجلَّ-سيعطيكم، لا تتصوَّروا أنه لن يعطيكم، بل سيعطيكم، لكن متى؟ عندما تقوموا بالعملين: عندما تصبروا وتتَّقوا.

---

(1) [سورة البقرة: 153]

(2) [سورة التوبة: 4]

إذًا الفائدة الثامنة كأنها مكمِّلة لمفهوم السابعة؛ لا تخف، اصبر واتَّقِ وافهم أنه لن يضرَّك كيدهم، لكن ماذا سيحصل؟ سيأتيك المدد.

هاتان الاثنتان معًا سترجعانك لما سبق؛ سترزق من حيث لا تحتسب، وهكذا سِرْ في الحياة، لا تعامل إلا الله، وإذا عاملت الله لابد أن يختبرك الله؛ لذلك أنت تحتاج الصبر، فاتَّقِ الله فقط، واصبر مع تقواك يرزقك من حيث لا تحتسب، كيف؟

قوِّ قلبك يأتيك المدد من السماء بصورة لا تمر على خاطرك، من أجل ذلك سنجد في النهاية أنه لا بد أن تكون العاقبة للمتَّقين.

المقصود: أنا ظُلمت وهناك طريق إداري أصل به إلى من ظلمني، فأكتب أن لي حقوقًا هُضمت بكذا وكذا، بيني وبين الطريق الإداري، عندي زميلات، وعندي أهل في البيت، كل هؤلاء خارج الموضوع، كما أنني أريد أن أستشير، فأستشير من له فهم في هذه المسألة، أي: أن الله-عزَّ وجلَّ-في الأساس لا يحب الجهر بالسوء، لكن من ظُلم يتكلَّم بما أصابه من سوء، لكن لمن؟ لمن يستطيع أن يرفع عنه، فهنا في هذا الموقف يوجد تقوى، وهي ألَّا تتكلَّم إلَّا بحقيقة الظلم، وألَّا تكلِّم إلا من يرفع الظُّلم، فهنا التقوى.

مثال: الزوج ظلم الزوجة، فأقوم أحكي للجيران، والأم، والزميلات في العمل، وغرف الدردشة في الإنترنت. كل هؤلاء ما دخلهم في الأمر؟! هذا ليس فيه تقوى.

ثم انظري كيف عندما نصف الموقف، كيف يتخلَّل الكلام عن المظلمة عدم تقوى، يعني: متى حصل أننا اشتكينا شكوى مجرَّدة من المشاعر؟ يعني: أنني أذهب لرئيستي في العمل، وأقول لها: زميلتي فلانة ما كتبت أوراقها المسؤولة عنها، وكلَّما كلَّمتها أشعر أن وجهها غير قابل الكلام، فأصف حتى مشاعرها التي في قلبها! فتوصل لها رسالة أنها غير مسؤولة عن هذا الموضوع، أي أنها توصل لها رسالة نفسية!

والله والله أن مشاريع خير كثير أُغلقت بسبب نقل الأحداث نقلًا شعوريًا ليس متجرِّدًا، وأنا وقفت على أكثر من ثلاثة مشاريع خير تنفع بنات المسلمين؛ لأن أشخاصا درَّبوا في نفسياتهم على أنهم ينقلون مشاعرهم التي تخصهم وقت اتخاذ القرار...بمشاعره يمنع الخير عن الأمة!

أليس مثل هذا حادث وواقع؟ فمتى كان عندنا تقوى وصفنا الحدث مجرَّدا، لكن من نعمة الله على العبد أن يرزقه تقوى تمنعه من أن يجعل أحدًا يتخذ قرارًا بسبب نقده، وفي كثير من الأحيان من أجل أن تكون تقيًّا، ربنا يرزقك.

مثلا: أنت الآن ممتلئ طيلة الأسبوع وهذا الزوج فعل وفعل وفعل، واليوم الخميس وأنا ذاهبة إلى أهلي وسَأُخرج ما بداخلي، وقبل أن أذهب اتصلت بي زميلتي وقالت لي: زوجي فعل وفعل وفعل، أي: أن زوج زميلتها فعل أفعالًا أكثر بكثير، فكأنه يقال لكِ: انظري بعينك!

أو تذهبي إلى مستشفى وترين موقف سيء، فتقولين في نفسكِ: لن أشتكي ولن أتحدث.

وهذا من نعم الله من أجل أن يدفعك للتقوى، وإلَّا كثير من الأخوات-وهذا موقف متكرر-يجتمعن في بيت العائلة فيرون لحم الزوج هذا من المسموحات المطلقة، وتسمع كلامًا لا نهاية له، ثم طيلة ما تبقى من الأسبوع ترى ظلمًا منه، وترى تدهورًا في أحوالك، ثم تقول: أنا صلَّيت وصمت!

ممكن أبحث عن طالبة علم، وأجتمع معها أنا وأخواتي، وتكون لنا واعظة ومنبِّهة ومُسَلِّمة لنا من الأخطار، فهذا جميل؛ لذلك على نفس القانون {لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ}، لكن لمن؟ لمن يُصلح لك نفسك.

لذلك نحن نطالب الآن بمكاتب استشارات اجتماعية، يقوم عليها طلَّاب علم يفقهون الواقع؛ لأن الاستشارة قائمة قائمة، لكن كثيرًا من الاستشارات والحكايات كلها تجر إلى الوراء، فنسبة الطلاق بين المتزوجات حديثًا تتراوح ما بين (56-62%)، أي: أنك تحضرين في الصيف مائة زيجة وفي السنة القادمة تجدين أن ستين منها انتهى أمرها!

سواءً كانت صغيرة، أو متوسطة في العمر، أو كبيرة، كله سواء، أحد أسباب ذلك عدم الوعي بالحياة، وعدم التقوى، وهناك سبب مهم وهو الاستشارات الفاسدة، فنحن النساء لدينا قوانين فاسدة، والقانون الأول المتَّفق عليه: زوجك على ما تعودينه، ولا تستطيع أن تعوِّده، هو يريد أن يعوِّدها، وهي تريد أن تعوِّده، وهو حافظ القانون، وهي تحفظ القانون فيخسران بعضهما البعض، فهذا من جهة، ثم بدأت تظهر عندنا قوانين أخرى، وتدخل في الحياة مثل مقدار الإنفاق، مقدار الإطعام، أين سيأخذكِ للتنزُّه، ولو ما سارت الأمور، إذًا انتهى، ولا أحد يفهم أن اثنان يلتقيان في أول سنة من أين سيأتي الوفاق! من المؤكَّد أن كل واحد سيرى في الآخر كل العيوب خصوصًا مع الاحتكاكات، ثم أننا مع الأيام يحصل شيء من التوافق، فمن هذا الذي منذ أول سنة سيحصل معه الوفاق، إلا أن الله-عزَّ وجلَّ-يجعل بينهما من الود ما يجعل الاثنين يحتملان.

نكمل في اللقاء القادم إن شاء الله الكلام عن فوائد التقوى.

انتهى اللقاء الثاني ولله الحمد، يتبع اللقاء الثالث..

اللقاء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثالث الذي نناقش فيه مسألة التقوى، وقد مرَّ معنا في اللقاءات الماضية الكلام حول نفس مفهوم التقوى، إلى أن بلغنا فوائد التقوى في الدنيا وفي الآخرة.

نكمل الكلام حول فوائد التقوى في الدنيا، إلا أنني سأذكِّركم مرَّة أخرى بأركان التقوى:

- ما أركان التقوى؟

حتى تكون شخصًا متَّقيًا لابدّ أن يكون عندك علم، وفي قلبك محبة وخوف ورجاء، ثم هذا كله ينتج عملًا، فهذه هي أركان التقوى.

أي: أنك لن تكون شخصًا متَّقيًا إلا إذا كنت تعلم ماذا ستتَّقي، ولن يحصل منك البعد أو القرب من المسألة التي يحبها الله، أو البعد عن المسألة التي يبغضها الله إلا إذا كان في قلبك محبَّة وخوف ورجاء، ثم في النهاية سيحصل العمل، سيحصل الاتِّقاء قربًا أو بعدًا، إذًا ما هي التقوى؟ إمَّا العمل أو الترك.

على أي أساس تعمل؟ على أساس أن عندك علم. وما سبب عملك؟ وجود المحبَّة والخوف والرجاء، وهذه الأركان بدونها لن تكون هناك تقوى.

نكمل الآن فوائد التقوى في الدنيا.

- **الفائدة التاسعة: سبب لصلاح الأعمال وقبولها، ومغفرة الذنوب:**

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}(1)

الخطاب للمؤمنين، أي بسبب ما معكم من إيمان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} ماذا ستكون النتيجة؟ {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} وهذه الآية دائما تتكرَّر في خطب الجمعة، بالتأكيد أن هناك غاية من وراء تكرارها والتذكير بها، مسألة إصلاح العمل مفهوم قد تجده غائبًا عنَّا.

سنقول هذا المفهوم بما يناسب الأيام التي نعيشها الآن والقادمة علينا من خير عظيم، وهو 10 ذي الحجة، وما نعيشه الآن من الأشهر الحرم:

أُمرنا بأمرين:

1. اتَّقوا الله.
2. قولوا قولًا سديدًا.

ما أثر تقوى الله في الآية؟

{يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} إصلاح العمل فِعل من الله بمثابة الجزاء.

(1) [سورة الأحزاب:70-71]

وهذا الذي نرجوه حقيقة، فنحن نرجو هذا الأمر وإن كنَّا لا نعرف اسمه، فكل منَّا يبذل جهده في طاعة الله ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وخصوصًا حين تأتي المواسم المباركة، كموسم رمضان، وموسم عشر ذي الحجة، حين يجتهد في الطاعة ماذا يريد من الله؟ بعد ما ينتهي رمضان ماذا يدعو بعضكم لبعض؟ (تقبَّل الله) أي: نفعل هذه الأفعال ولابد أن يكون في قلوبنا رجاء أن يقبل الله.

فأول خطوة لابد أن نتَّفق عليها حتى تفهم أثر هذا العمل، وأثر التقوى، أثناء قيامك بالعمل لا زال هناك خوف، وأنت عامل خائف، فكيف بك إذا لم تعمل؟! فتصوَّر وأنت تصلِّي الليل، مطلوب منك أن يكون جزء من مشاعرك حول الخوف، خوف من ماذا؟ من عدم القبول. وهذا الجزء مثمر جدًا للانكسار والذُّل، مثمر للتعلُّق وللرجاء، مثمر للعبودية، مثمر أن تكون بسببه عبدًا.

هذه الوظيفة (العبودية) هي الوظيفة المنسيَّة! ألست تعلم أن الله مَلِك؟ الملك له عبيد، ما دورك وما وظيفتك؟ عبد. هل ينفَك عنك هذا الوصف ثانية؟ لا، أبدًا ولا ثانية. لكن أسألكم كم ثانية في حياتنا نشعر بالعبودية؟! هذه هي المشكلة، هذه الوظيفة هي المفقودة، فلمَّا تقف بين يدي سيِّدك ومولاك، وأنت تحبه وترجو رضاه وتتقرَّب إليه بعمل، الذي تحمل همُّه ذاك الوقت أن يقبلك.

فالقبول هَمٌّ عظيم لو صحَّت قلوبنا، لو قلوبنا صحيحة تعرف منزلة العبودية ستحمل هم القبول.

نحن في تعاملاتنا عندما نحب أحدًا حبًّا شديدًا ثم نقدِّم له أعمال، أشتري له هدية، طوال الطريق أقول: (يا رب تعجبه)، وما يأتي في قلوبنا للشخص الذي نحبه مشاعر أنه: (يحمد ربه أني اشتريت له هدية!)، فنحن على حسب ما نحمل في قلوبنا سيكون خوفنا.

كلَّما زادت عظمة الشخص الذي تحبُّه، كلَّما أصبح عندك حالة من مراقبة مرضاته، تفعل الشيء وأنت تحمل هم ألَّا يقبل؛ أرأيت مشاعر العبودية هذه؟! قد نمارسها لكن لغير الله! فهذا حق يجب صرفه لله، لكن نحن أخذنا هذا الحق صرفناه بتفاصيله لغير الله، حقيقة العبودية ليس اسمها، لا أحد يرضى أن يكون عبدًا لشخص.

الإشكال أن قلوبنا تَفْلُت، وبسبب أن الناس شاهد، أي في عالم الشهادة، والله-عزَّ وجلَّ-غَيْب عنَّا، ماذا يحصل؟ القوة عندنا -بسبب ضعف القلوب-للشهادة، مع أنني أقول: (أشهد أن لا إله إلا الله) لكن الضعف لهذه الشهادة سبّب عدم وجود العبودية كما ينبغي، فهذا الجانب يحتاج كثير من النقاش خصوصًا ونحن مقبلين على موسم طاعات، هذه العشر أيام تجري كالهواء، أتذكرون رمضان كيف! والله ما استمتعنا به من سرعة مرور أيامه، انتهى ونحن لم نغتنم دقائقه وثوانيه، ثم أننا عملنا وبذلنا لكن لا زلنا نشعر بالتقصير، وهذه مشاعر لابد تكون موجودة، بقي عليَّ ما استودعته في هذا الشهر من أعمال، ما أبقيته من أعمال في هذا الشهر من صيام وقيام، بالأوراق والأقلام أنا صمت وقمت مع الإمام حتى ينصرف، وختمت القرآن مرة واثنين وثلاث وأربعة، هذا بالحسابات، لكن من هذا كله ما هو المقبول؟ همٌّ يكاد يقطع القلب لو كان القلب صحيحًا!

كل هذا مضى، وإصلاح ما مضى أمر ليس بيدي، إذًا ماذا أفعل الآن من أجل أن أصلح ما مضى من 30 أو 40 سنة من حياتي؟ وبالتأكيد كلَّما تعلَّمنا علِمنا أن ربَّما ثلاثة أرباع أعمالنا ما كانت فيها قلوب، وربما راءينا الناس ونحن شاعرين؛ أتذكر أني ما صليت الضحى إلا من أجل كذا وكذا، مواطن وقع فيها الرياء غير الذي لا أذكره، ضاعت نيَّتي

فيه، مَننت به بعد ما عملته، انظري المفاسد تدخل في أول العمل ووسطه وآخره، بهذه الصورة تصبح الأعمال صعبة وقبولها ثقل، ماذا نفعل لإصلاح ما مضى؟ أمَّا أنا لا أستطيع إصلاح أعمالي فيما مضى، **لكن**

اسلك الآن مسلك التقوى يكون الأثر إصلاح العمل الذي مضى.

فكيف يُصلح لك ما مضى؟ بمعنى أن يقبلك الله، ويقبل ما مضى، أي: أنت اليوم استقم، ماذا يحدث لك إذا استقمت؟ يصلح لك الله ما مضى من أعمال، ليس كل عامل يُصلح له عمله، أنت الآن قمت الليل وصمت النهار لكنك لم تحمل هم القبول ولم تسلك سلوك المتَّقي فيما استقبلت، فكل عيوب عملك ستبقى، فهناك عاملان:

1) تحمل هم أن تُقبل.
2) سلوكك في المستقبل أن تكون تقيًّا.

فإذا صلح للعبد ما مضى من عمل قام به، كَسَب فائدتين:

الفائدة الأولى: يعاملك الله على ما مضى بالإصلاح، فيُصلح لك ما مضى.

الفائدة الثانية: تصوَّر عندما تخرج من شهر وأنت قد قمت بأعمال صالحة قبلها الله، ماذا يحدث في قلبك؟ يحدث في قلبك زيادة إيمان، فإذا أصلح الله عملك الذي مضى، نفس عملك قُبل وماذا حصل؟ زاد إيمانك، وهذا معنى أن يعاملك الله باسميه **الغفور الشكور**.

- ما معنى اسميّ الغفور الشكور؟

حين تقوم بأعمال فيها نقص وضعف وفساد، كيف يعاملك الله؟ باسمه الغفور، أي: يغفر لك هذا النقص، يُصلح لك هذا الفساد، ومن الجهة الأخرى يضاعف لك الأجر، فإذا اتَّقيت في مسلك المستقبل كان أثره على ما مضى من عمل، وهذا لابد أن يكون منَّا على بال؛ لأن همومنا وقت المواسم بالذات لابد أن تكون همَّ شخص يريد عمل صالح، فمن يجعل هذا العمل الذي أعمله صالحًا؟ ما يصلحه إلا الله، ما هو الإصلاح فيه؟

الإصلاح أن يقبله الله؛ لأن الله لا يقبل إلا عملًا صالحًا، وأنت قد تلتفت نيَّتك، ذهب عقلك وقت قيامك في الطاعة، ما عظَّمت الله حق تعظيمه، وقع في نفسك ملل، وقع في نفسك عدم شوق لطاعته، تكاسلت، أظهرت استغناءك عن الطاعة، كل هذه مفسدات تحيط بالطاعة، ثم وفقك الله للطاعة، لكن هذه المفاسد قد تذهب بعملك لو حاسبك الله عليها، ماذا أفعل ليصلح الله عملي؟ اتَّقي في مستقبل الأمر مع حملك لهم أن يقبلك الله.

اتَّفقنا على فوائد التقوى في الدنيا، وصلنا إلى الفائدة التاسعة، بعدما اتَّفقنا ما هي التقوى، التقوى فيها ثلاثة أركان من أجل أن تكون شخصًا متقيًا تحتاج إلى:

1) علم.
2) محبة وخوف ورجاء.
3) عمل.

كأني أقول لك: إن المتَّقي يبني عمله على أمرين: على علم، وعلى محبة وخوف ورجاء، وهذه التقوى لها آثار:

ما الأثر التاسع؟ سبب لصلاح الأعمال، وقبولها ومغفرة الذنوب.

بدأنا بالمسألة الخطيرة وهي إصلاح العمل، ما معنى إصلاحه؟ لابد أن تتصوَّر أن عملك نبت في أرضك، وأرضك هذه مليئة بالآفات، ماذا ستفعل الآفات؟ ستُفسد عليك ثمرة العمل، فماذا تحتاج الآن؟ تحتاج وأنت سائر إلى ربك أن تعمل وتحمل هم القبول، فإذا حملت همَّه، وفي نفس الوقت استقمت على التقوى في مستقبل الأمر كان هذا سببًا لأن يُصلح لك ما مضى من عمل، إذًا الكلام حول ما مضى من عمل لكن هذه الزاوية في نفسها، نحن لسنا مهمومين بها.

أول أسبوع في شوال ربما يمر دائمًا على خاطرنا قبول الله للعمل، وأناس من أول يوم، وهناك أناس ولا يوم، لكن حين تنظر في حال الصحابة ستة أشهر وهم يحملون هم قبول هذا الشهر، وستَّة أشهر يطلبون الفرصة القادمة، على ماذا يدل؟

أنك لابد أن تكون بين خوف ورجاء؛ لا تعمل عملًا ولا تتوب توبة وتظن نفسك أنك مقبول، ليس هذا وصف العبودية، هذا ليس وصف شخص عبد.

العبد –كما اتَّفقنا وضربنا المثال– دائمًا مهمومٌ برضا سيده، دائما يخاف مولاه وسيده أن يسخط عليه، نحن هذا الحق الذي هو لله صرفناه لغيره، صرفناه لمن نحب، لابد أن يظهر في حياتي شخص أهتم برضاه، وأصرف له مشاعر الهمِّ هذه، همُّ قبول العمل، إمَّا زوج أو أبناء أو جيران أو زميل في العمل أو مدير في العمل، لابد أن يظهر أحد في حياتي غير الله أعتني برضاه عناية فائقة تامة، بحيث أن يكون كل تفكيري أن يرضى، هذا التصرُّف صرفٌ لحق الله إلى غيره، هذا لا يبلغ درجة الشرك لأنه ليس صرفًا تامًا، لكن هذه الحرارة وهذا الوجدان الموجود المفروض أن يكون لله وليس لغيره.

ولا زلت أذكِّركم من أول لقاء أن مشكلتنا الحقيقية هي عدم وجود الاحترام للحقوق؛ فعندما أشرح شعب الإيمان، ما أعلاها؟ شهادة أن (لا إله إلا الله)، وما أدناها؟ إماطة الأذى عن الطريق، ثم أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، ذُكرت لك هنا ثلاثة أنواع من الحقوق، أعلاها حق الله وهو الشهادة، أي: أنني الآن في الشرع أُمرت أن أحترم الحقوق، ما هو احترام الحقوق؟ إعطاء كل ذي حق حقَّه.

ماذا فهمت الآن من الشهادة؟ أنها حق الله، ولابد أن نعطيه حقَّه–سبحانه وتعالى–؛ ولذلك كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب–رحمه الله–اسمه (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)، من أين أخذها؟ أخذها من حديث معاذ، ((يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا))[1] ثم أدنى الحقوق حق الطريق، فالذي يُميط الأذى عن الطريق قام بالحق، فتتردَّد الحقوق بين أن تكون واجبة وبين أن تكون مستحبَّة.

ثم انظر إلى الحياء الذي هو حق نفسك عليك، ما حق نفسك عليك؟ أن تستحي، إشارة إلى إيمانك. لكن أين المشكلة الآن؟ المشكلة في اختلاط الحقوق.

نوضِّح المسألة من جهة أخرى:

تعلم أن الله من أسمائه (الملك)، إذا كان هو الملك فنحن عبيد، أنت عبدٌ للملك؛ معنى ذلك أن الذُّل والانكسار، والخوف والرجاء، وكل ما تطلبه وكل ما تريده، كل هذه حقوق للمَلك، الملك وحده هو الذي له حق عليك أن تكون

(1) متَّفق عليه.

عبدًا له، ثم هو وصف نفسه–سبحانه وتعالى–فقال لك: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[1]، إذا كان بيده المُلك، إذًا حقُّه علينا ألَّا نطلب من غيره، وحقُّه علينا ألَّا يلتفت قلبنا إلى غيره طلبًا، لماذا؟ لأنه مالك المُلك، ألست تُعاب أن تطلب ممَّن لا يملك وتترك من يملك؟ لأن هذا لا يُقبل عقلًا!

فمن حقوق الملك ألا تعظِّم غيره، ولا تطلب من غيره، ولا تظن غيره ينفعك، ومن أجل أن نتصوَّر المسألة نضرب مثال: أم وأب في البيت، الأب هو الذي يصرف والأم ربَّة بيت، عندما تأتي البنت وتطلب من أمها أمام الأب، ماذا يقول لها الأب؟ تطلبين من أمك لماذا؟! ماذا عندها لتطلبي! اطلبي منِّي، وهي تريدها واسطة، لكن الأب لا يقبل، فهو صاحب الصرف، يشعر أن هذا حقُّه، لا يصلح أن تطلبيه من غيري، أو مثلًا أنا مدير وعندي سكرتير، ويأتي صاحب الحاجة فيطلب من السكرتير ويترجَّاه، فيقول المدير: لماذا تترجَّاه، وهذا ليس صاحب القرار؟ الآن المدير يغضب أنك طلبت من السكرتير، والأب يغضب أنها طلبت من الأم، فمعنى ذلك أنه عندما يُصرف الحق لغير أهله هذا يُعتبر نوع من أنواع العيب في صاحب الحق، كأنها مسبَّة، فكأنه يقال: إنك لا تفعل إلَّا بواسطة، كأنك لست صاحب عدل، ولا يمكن الدخول عليك مباشرة، ففيها مسبَّة.

إذًا صرف الحقوق لغير أهلها نوع من أنواع الاعتداء، فما حق الله علينا؟ هذه كلمة يطول النقاش فيها، لكن أنت ضع كل أسماء الله أمامك، وقل: إذا كان الله هو **الرب** الذي يُربِّي ويُصلح، ويُعطي ويمنع، إذًا لا طلب إلَّا منه، وإذا كان الله هو **الملك** وهو على كل شيء قدير وهو الذي يدبِّر الأمور، إذًا ماذا يجب أن يكون في قلبي؟ ذلٌّ له وانكسار بين يديه، وإذا كان الله هو **الجبار** الذي يجبر القلوب، إذًا ما حقُّه عليّ؟ ألَّا أطلب جبرًا لقلبي إلَّا منه، وإذا علمت أنه الجبار الذي يقصم الجبابرة فما حقُّه عليّ؟ أني إذا ظُلمت فلا أطلب إلَّا إيَّاه أن يعطيني حقِّي وأن يقيني شر من ظلمني، فكلَّما سِرت على أسماء الله، عظُم في قلبك حق الله، وكلَّما أصبح حق الناس واضحًا أمامك، وأي تجاوز يحصل لك تَرُد قلبك إلى مكانه، وهذه هي حقيقة التقوى.

حقيقة التقوى: أن تُعطي كل ذي حق حقَّه، وتتَّقي أن يحصل منك تعدِّي، في أحوال كثيرة لا نقبل حقوق الخلق، ما نقبل أن للجار حق، جار يعتدي، أُسقط كل حقوقه عليّ! زميلة في العمل تعتدي، أُسقط كل حقوقها دون تفكير! وهكذا، وانظري إلى الشباب في الشوارع وهم يقودون السيارات، فتخيَّلي تكون السيارة ممتلئة بالأطفال وبالنساء، ويأتي أحد يعانده، كل من في السيارة وحقوقهم انتهى موضوعهم! ويفعل بهم ما يدخل على قلوبهم الرعب فقط ليرد على هذا، ولا يهمه حقوق الآخرين بل يرعبهم لينتقم ممن عانده! أيضًا كل من في الشارع، كلهم ليس لهم حقوق، ولا حتى حق نفسه، المهم أن يفعل ما أملاه عليه هواه.

ولذلك لابد وأنا أتكلَّم عن التقوى أن أتكلَّم عن النفاق لماذا؟ لأنك لو رأيت ما يضاد التقوى لن تجد له اسمًا إلا النفاق، فإمَّا تقي أو منافق، بكلمة واحدة كما قال الحسن في قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}[2] قال: هو المنافق؛ ما رأى من هواه شيئًا إلَّا ركبه.

---

(1)[سورة الملك: 1]

(2) [سورة الفرقان: 43]

وعمر بن عبد العزيز كيف بيَّن لنا التقوى؟ **قال عمر ابن عبد العزيز: المتَّقي ملجَّم**، أي: أن الناس أحد اثنين إمَّا شخص يركب هواه، أو شخص ملجَّم، ما معنى ملجَّم؟ مثل الخيل، يرُد نفسه.

لا يوجد إلا هاتين الحالتين إمّا أن العبد يركب هواه، أو يكون مُلجمًا لنفسه وهواه، وما تراه الآن لمبات النفاق، فالنفاق عندما يدخل إلى القلب يدخل مثل اللمبة، أي: الإضاءة، البقعة في القلب إلى أن يكبر، والإيمان بمثابته أيضًا يدخل مثل هذه البقعة، إمَّا بيضاء أو سوداء.

فقط أدِّي الحقوق كاملة، أمَّا البحث عن الرضا، فليس هذا هو المطلوب منك؛ لأنك لو بحثت عن الرضا أحيانًا تحصل حالة من التعدي، مثال: هناك والدين فيهم من الطيبة والرضا الشيء الكثير، ويأتي الأبناء ينادونهم بأسمائهم، فنقول لهم لا يصح، هذا تعدي على حقهما، فتقول الأم إنها راضية. نقول هذا القانون خطأ، والعكس أحيانًا تفعل البنت كل شيء ثم تقول لها الأم: لا أرضى عنكِ إلا عندما تخرجي وتتركي زوجك. نقول لها: ليس بالضرورة أن ترضي؛ لأن هنا سنتعدى على حق آخر، فالقصة ليست مرتبطة بالرضا بل مرتبطة بالحق، هناك مشاعر أنني أريده أن يرضى، سواء زوج أو والدين، لا بأس، هذا الطلب بنفسه لا يرفض أن تفعل العمل والمهم أن يرضى، لكن تلمُّس رضاه يجب أن يكون من أجل أن يرضى الله، وهكذا تخالفين هواكِ.

نحن دائما نضرب مثال الزوج ليبقى عندكم هذا التفكير حيًّا إن شاء الله، لنبدأ بالزوج أولا: مثلًا أوقظه لصلاة العصر ما دمت راضية عنه، وأقول: حقَّه عليّ أن يصلّي العصر جماعة ولا تفوته ((مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ))[1]، وأستحضر كل النصوص التي أحفظها، وأنا راضية أقوم بالحق، لكن عندما أغضب عليه أقول: هو شخص كبير، وعنده ساعة، وإذا أراد أن يقوم يقوم!

فأصبحت القصة هوى، ممارسة على حسب رضاي عنه، وعلى حسب رضاه هو عني، لكنني أقول لكِ: لا تهتمّي بالرضا وسيري في خط واحد سواء كان راضٍ أو لا، كنت راضية عنه أو العكس. فإذا كان الرضا غير موجود، وأنتِ تؤدّين ما عليكِ من الحق، ومهما فعلتِ لا يعجبه، فتطبخين له ويُعيب أكلكِ، ويأتي يوم لا يجد أكل معين فيغضب، فلا يصح أن تقرّري ألا تطبخي لأن مهما فعلتِ فلن يعجبه. لا، بل عليكِ أن تؤدّي الحق سواء راضي أو لا، سواء عاب الأكل أو لا.

هذا الكلام تقولينه داخل نفسك؛ أنني سأقوم بحقِّك سواء كنت عنّي راضٍ أو غير راضٍ عني، وأنا سأقوم بالحق ليس تفكيري أنك أنت ترضى، بل لأنني سأُسأل عن هذا الحق بتفاصيله، كم من المرَّات الأبناء يرفعون أصواتهم على آبائهم وأمهاتهم، ولأن الآباء والأمهات إما ضعفاء أو محترمين، أو ملَّت نفوسهم من كثرة العتاب فيسكتون، فنقول له: لا يصح ذلك صوت مرفوع أو نظرات في العين غير محترمة، فيرد بأن الأمر عادي، أنا وأبي كالأصحاب! هذا الكلام كله هوى، والحقيقة أن الواجب عليك أن تقوم بالحق وليس الميزان رضاهم، الميزان أن تقوم بالحق، وإذا كان الأب راضٍ في العرف فإن رفع الصوت لا يجوز. فالحقيقة أن الواجب عليك أن تقوم بالحق وليس الميزان رضاهم.

(1) صحيح البخاري، كتاب من ترك صلاة العصر، باب مواقيت الصلاة، 553

نحن اختلطت علينا الحقوق بأعلى درجة نتصوَّرها، اختلطت لدرجة أنني أقوم بالأفعال المضادة للحق، وترى الشخص يقوم الليل ويصوم النهار، وعليه من علامات الدين ما عليه، ولا يترك العمرة ولا الصدقة، ثم تجد انفراطًا في قيامه بالحقوق، لا الجار له حقوق، ولا الإخوان ولا الوالدين قائم بحقوقهم، ولا العمل قائم بحقوقه، ولا الأوراق التي سلِّمت في أمانته قائم بحقوقها! فالتفريط في الحقوق من أسباب ضعف الإيمان، فهو يسبب ضعف الإيمان، وضعف الإيمان يسببه، وكل منَّا عنده مائة عذر لعدم قيامه بالحقوق.

المفروض تعليم الحقوق هذه مسؤولية المجتمع بعد ذلك، مثل المدارس، والبرامج التثقيفيَّة للمسلك الصحيح.

فمهما كان أمام الناس ألا يظهر هذا الابن بأنه عاق؟ نعم، فقد سبب تهمة له في عرضه، والسبب الوالدين، وهذا من الأخطاء أن يُنادى الأب والأم بأسمائهما.

قاعدة عامة: حين يحصل تداخلات في الحقوق مثل الزوج يقبل والأب لا يقبل، لا يوجد عبادة إلَّا الاستهداء.

أي: طلب الهداية، {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}[1]، {يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ}[2]، هذه عبادة مهمة ونحن تاركون لها الله- عزَّ وجلَّ-يمرِّر عليك من المواقف والأحداث لتعبده بهذه العبادة، حيرة يقابلها استهداء، كيف يكون الاستهداء؟ **طلب من الله أن يخلِّص قرارك من الهوى.**

فأنا في نفسي أن أحج، ثم تأتي موانع ومعارضات، أحد يوافق وأحد لا يوافق، فأنتِ خارجة للحج من أجل رضا الله، وهناك حق لأحد آخر، والشريعة قدَّمت حقوقهم فاطلبي من الله أن يخلِّصك في قرارك من الهوى، المشكلة أن غالب قراراتنا يدخلها الهوى، ثم نصبغها بالصبغة الشرعية، مرِّروا على خواطركم كثير من القرارات تجدون أن كثير منها يدخلها الهوى، أي أن يكون القرار سببه الهوى لكنني أعطيه الصبغة الشرعية.

فعبادة الاستهداء، أن أطلب من الله أن يدلَّني على الطريق المستقيم، ويكون قراري صحيح خالٍ من الهوى، قرار من أجل رضا الله.

النفاق لمبات، لو دخلت إلى القلب نكتت فيه نكتة سوداء، لكن عندما تفهم الحق، تتَّقي فيما هو مستقبل، يُصلح لك فيما هو ماض، افهمي هذه المسألة جيدًا لتكون حلًّا يسبِّب التوازن.

مثلا:20 أو30 سنة من الاستقامة كنت أتَّخذ قرارات كلها مبنيَّة على الهوى، مثلًا ذهبت للحج رغمًا عن فلان ولم أعطيهم حقوقهم، ثم عدت وقلت: يا رب اقبل مني حجِّي، وربما يكون أهل الحق غير أحياء، كيف أُصلح ما مضى؟ بكلمة مختصرة يبقى في قلبك حمل همّ قبول ما مضى يصلح لك المستقبل، وبهذا يُطرد النفاق، فاليوم اتق، واحمل همّ ما مضى، النتيجة أنه يصلح لك ما مضى، هذا وعد من الله {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}[3].

فعبادة الاستهداء، كل قرار تقفين فيه استعملي معه عبادة الاستهداء، هذا رضا وهذا رضا، الحج ورضا الوالدين، كلاهما رضًا لله، أي الأمرين سيكون أرضى لله ويخالف هواي؟ استهدي الله، مهما استشرتِ لا أحد يستطيع أن يعطيكِ قول كما ينبغي، لا أحد يعرف دواخل النفس، هذا حلُّه في الجزء الأول من إصلاح العمل.

---

(1) [سورة الفاتحة: 6]

(2) [سورة القصص: 22]

(3) [سورة الأحزاب: 71]

نأتي إلى الجزء الثاني: كلَّما زدت تُقى، كلما وُفقت لصلاح أعمال المستقبل.

فالتَّقي عندما تكون دُرْبَته التقوى، ماذا ستكون النتيجة؟ النتيجة أن أعماله في المستقبل يكون فيها خائف من هواه، مراعٍ حق الله، مراعٍ أولويات الحقوق، إذًا الذي مضى يصلحه الله ويقبله، ويعاملك باسمه الغفور الشكور.

الأثر الثاني للتقوى: عندما تكون متَّقيًا تصبح عندك هذه الحساسية، أنك قبل أن تُقبل على العمل يكون عندك خوفًا أن يكون فيه هوى، وتكون راجيًا من الله أن تكون مخلصًا وأن تكون صادقًا، فمن آثار التقوى أن يجعل الله في قلب العبد أسباب قبول العمل وأسباب إصلاح العمل، ما أسبابه؟

أن تكون نيَّة صحيحة-الصدق والإخلاص-، إعطاء الحقوق كما ينبغي، فهذه الهموم لم تكن عندي من أول الأمر، لكن عندما أكون متَّقيًا يجعلها الله في قلبي ويحرِّكها، يكون لديَّ سؤال استفهام لم هذا التصرُّف؟ أي: أجعل لكل سؤال جواب.

أضرب مثال: شخص ربنا ابتلاه بأنه يمارس الغيبة لكن بصورة عفويَّة، هذا قد يكون أمرًا مشتركًا بيننا ونحن لا نشعر، الغيبة ((ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ))[1]، وأحيانًا هذه الغيبة لها طريقين:

الطريق الأول: طريق الحقد، فأتصل وأتكلَّم فقط عن فلانة، وأفرّغ ما بداخلي، وهذا الطريق معروف.

الطريق الثاني: في أثناء الكلام أقول: زوجها كيف تزوَّج عليها؟ هذه غيبة، إن أردتِ أن تعرفي اسأليها هي، فأنتِ قولي لها: أختك محتاجة للدعاء. وانتهى.

الغيبة العفويَّة هذه غيبة في النهاية وحكمها حكم الغيبة، فأريد أن أعرف ما أثر أن أكون متَّقية على هذه الغيبة؟ أنا الآن تعلَّمت وأصبح في قلبي حب وخوف ورجاء من الله، وأصبحت أعمل من أجله وأترك من أجله، لكن بقي فيَّ عيب الغيبة العفوية، وأنا لا أقصد، وهذا أصلًا أسلوبي في الكلام!

عندما تزداد تقوى في كل جوانب حياتك أثرها أن يصلح عملك، فيأتي ناصح ويقول: كلامك أَوْغَر صدري على أخي، ويأتي واحد يقول: انتبه أنت تغتاب. ونحن عادةً نأتي بالاعتذار: وأشهرها: أنا أقول ذلك في وجهه. أو أقول للشخص الذي اغتبته سامحني، لابد أن تسامحني لأني اغتبتك. كل هذه أعذار كي لا أحس بالألم، وتجد في النهاية نفسك تتكلَّم ولا تتألَّم.

ما أثر التقوى؟ أن أبدأ أنتبه للكلام، فنحن نعرف أنه مع كثرة الكلام تُخرج كلامًا لا تحسب حسابه، فمن يردُّك ويعصمك؟ لا يعصمك إلَّا الله، لكن هذه العصمة هي أثر أنك متَّق من الجهة الأخرى فأنت تسير متَّقيًا، وعندك عيب في كلامك، وفي أسلوب نقاشك، وتأدية الحقوق أتكلَّم ولا أشعر، فلمَّا تسير في طريقك هذا وتكون متَّقيًا من آثاره أن يُصلح لك الله عملك، بمعنى أن هناك أشياء تفلت منك يكون فيها أخطاء تخالف فيها الشريعة، الله يصلحها لك.

ما يصلح ما مضى إلا تقوى قادمة {اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}[2]، فالقول السديد هو الذي ينقصنا، وما يأتي القول السديد إلا بعد مجاهدة وطول تفكير وممارسة، وما يأتي القول السديد إلا من أهل التوحيد الذين هم يعيشون لواحد فقط، يعيشون رضاه، **فأهل التوحيد هم أهل القول السديد.**

---

(1) رواه مسلم، كتاب البر والصِّلة والآداب، باب تحريم الغيبة، 2589

(2) [سورة الأحزاب: 70]

المقصد أن التقوى تنفعك في أمرين في إصلاح أعمالك: بإصلاح ما مضى وبإصلاح المستقبل.

ممارسات مضت فيها عدم تعظيم الله، وفيها عدم التعلُّق به، وفيها أنواع من الشرك الأصغر، ومن الالتفات لغير الله والرياء، فمن فضله ومنِّه وعطائه وكرمه أن تستقيم اليوم فيُصلح لك ما مضى، المعاصي بابها التوبة، والأعمال الصالحة والطاعات بابها التقوى، لنركز في الأعمال الصالحة {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} أي: يُصلح لكم أعمالكم التي قصدتم بها رضاه.

يأتيك خوف من أن يسخط عليك الله-عزَّ وجلَّ-من إرادة مستقرَّة في القلب، مثلًا وجدت في قلبي مشاعر أنني أعمل أعمال صالحة ومقبولة، وفي الليل والنهار ليس همِّي عند الله وأكيد أنني عند الله شيء. فمن أول ما تأتي هذه المشاعر يأتي ذنب يقصم العبد من أوله لآخره! فعليَّ أن أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم مباشرة؛ لأن سكوتك عنها معناه أنه سيأتيك ذنب تسقط فيه، وكم من الكبائر كانت سبب سقوط أهل الاستقامة؛ لأنهم ظنوا أنهم مقبولين عنها.

قد يقال على هذا الحياة ستكون صعبة وخوف! نقول: لا بأس هناك خوف وهناك رجاء، ثم هذه هي تركيبة الحياة، خُلق الإنسان في كبد لو ما كابدت الخوف والرجاء في الله، كابدته في الأسواق وطلب رضا الناس، لكنك تكابد في موطن شريف وغيرك يكابد في موطن حقير.

إذا جعلت خوفك ورجاءك سائقك إلى الله أكيد سيُصلح لك أعمالك، يقال لك: ما مضى يصلح بالتقوى، فما التقوى؟ تتعلَّم، وتحب، وتخاف، وترجو.

إن اتَّقيت في هذا الجانب يسدد لك الجانب الذي لم تفكِّر فيه بالتقوى، فكأن التقوى يجر بعضها بعضًا، أنت تتق الله في والديك وعملك، وفي صلاتك وفي حزبك، وفي أمور لا تمر على خاطرك، فجزاءً لك ولتقواك وجهدك ماذا يفعل الله لك؟ يصلح لك هذا، فيُصلح لسانك من أن ينفلت ويتكلَّم، يصلح يدك من أن تطيش في المسلمين، ويحمي عقلك من الوسواس وهكذا.

مراجعة لما سبق.

التقوى ثلاثة أركان:

- **العلم**، لن تكون تقيًّا إلَّا إذا علمت ماذا تتَّقي ما هي محاب الله ومباغضه، لابد أن تتعلَّم حتى لا تحذر طاعة، ولا تُقبل على معصية، فكثير من المخالفين انتكست فطرهم لأنه نقص عندهم العلم، فيأتون إلى معصية بيِّنة بل إلى شرك ويتقرَّبون به إلى الله، ويأتون إلى طاعة واضحة ويتركونها قربة إلى الله، وهذا خطر واضح في العالم الإسلامي، فكثير مما يحبه الله متروك لأنهم لا يعلمون أن الله يحبه.

اخرج وتعلَّم وفي قلبك نيَّة بأنك تتعلَّم من أجل أن تتقي، ومن أجل أن تعرف محابه من مباغضه، ولتكون دقيقًا في سلوكك إلى ربك، واعرف الحقوق، مشكلتنا الخطيرة أننا لا نعرف الحقوق، ولا نعرف أن نمايز بين أصحاب الحقوق وأحيانا يحصل شيء من طغيان حق أحد على أحد.

عبادة الطاغوت أن يكون عندك حق لله وحق لغيره، فماذا يحصل به؟ أتجاوز بفعلي حق غير الله إلى الله.

مثال الأولياء والصالحين في القرآن والسُّنة لهم حق، لكن حين يتعدَّى الإنسان حقهم ويُعليهم، يصلون فيشاركون الله حقه، فأصبح شركًا.

إذًا أنت تتعلَّم من أجل أن تتقي، تتقي أن تُدخل حقوق أحد على أحد، تتقي أن يقع منك سلب لحقوق أحد وإعطائها لأحد.

لذا رأس العلم التعلُّم عن الله لتعرف أنك عبد له، حين تتعلَّم عنه وتعرف مثلًا أنه الملك، إذًا أنا عبد ذليل منكسر، لا تأتيني ثانية أستغني بها عن سيدي ومولاي، أنت في الحقيقة عبد لربنا ولا تستغني عنه طرفة عين، هل هذه العبودية موجودة في القلوب؟

هذه الفوارق بين أهل الإيمان، وهذه الفوارق بين أهل الإسلام وهذا الذي يجعل الناس إمَّا يعظِّمون الكتاب والسُّنة أو يضعف تعظيمه، إمَّا لا يعظِّمونه وإمَّا يعظِّمون الدليل وأنه قائدهم وسيدهم، أو أنه رأي يُقبل أو لا يُقبل.

يقال لك: هذا الشهر معظَّم، هذه الكعبة معظَّمة. فكلَّما يُشار لك بشيء تعظِّمه لأنك تعلم أن سيدك ومولاك يشير لك لما يرضيه، وليس هناك عبد يقول لسيده: لم هذا الشهر وليس ذاك الشهر؟ فأنت عبد عينك لا تفارق مكان سجودك، عبد يعلم أن سيده ومولاه مطَّلع حتى على ما قام في قلبه.

إذًا أنت تتقي حين تتعلَّم، وقاعدة العلم معرفة الله تعالى، عشنا عمر ما نعلم عنه غافلين، ثم عندما تقلِّب صفحات في المصحف تقول: أين أنا عنه! كل هذا البيان في وصف نفسه-سبحانه وتعالى-ثم أكون غافلًا؟ وأنا بعد الصلاة أقول اللهم أنت السلام ومنك السلام، أين اسم السلام في الفهم ؟! أقرأ المعوِّذات {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ(2) إِلَهِ النَّاسِ}[1]، أين أنا من هذه الأسماء الثلاث في الحياة؟ واسم (الله) ما معناه؟

كل هذا الذي نحن فيه سبَّب اختلاط الأمر، وسبَّب في النهاية أن تجد أحدًا كل مظاهر الإسلام عليه لكن في النهاية ليس تقيًّا، لا يعرف أن الحقوق هي أصل التقوى.

فممكن أن يقصِّر في حقوق والديه ويختل التوازن عنده وهو يرى نفسه أنه متقرِّبا إلى الله بذلك.

○ كيف نتعلم الحقوق؟

من المصادر، كلَّما ازددت انكبابًا على الكتاب والسُّنة، بفهم دقيق، ستفهم كل شيء، ثم بعد ذلك عندما نتكلَّم عن الأمور المعاصرة تحتاج أن تفهم القواعد الشرعية، فإن كان ذلك من الصعب أن أرجع إلى القواعد الشرعية يكون مرجعي في ذلك إلى الفتاوى، فالأصل أن تتعلَّم القرآن والسُّنة ثم إذا تعلَّمتها تأتي أمور واقعية.

مثلًا أخرج من الدوام مبكرًا أو لا؟ يحق لي أستعمل أوراق الدوام أو لا؟ أستخدم كهرباء الدوام أو لا؟

ما تعرف ماذا يجب عليك، فعندك واحد من اثنين؛ إمَّا تتعلَّم القواعد الشرعية أو تستفتي أهل العلم.

- الركن الثاني للتقوى **المحبة والخوف والرجاء**، وهذا يأتي من العلم عن الله.

(1) [سورة الناس: 1-3]

- وبعد هذه الإنارة يأتي **العمل**، الآن تستطيع أن تعمل على نور من الله كما قال طلق بن حبيب: (التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله) هذه القاعدة الثلاثية، (وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله).

وتكلَّمنا عن آثار التقوى، وكان من آثار التقوى {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}[1]

فالإصلاح نوعان:

1- إصلاح **ما مضى** بقبوله، تعلَّمت اليوم أن هذا حق قم بالعمل، اتَّقي وقم بالعمل فيصلح الله لك ما مضى.

2- وإصلاح المستقبل، كلَّما استقمت على التقوى، كلَّما جذبت التقوى أعمالك، فأصبح ديدنك أن تتقي، فبعد ما كان الكلام ينفلت منك، أو أنك من غير أن تحس تتكلَّم وتعلِّق، وتقول: إن هذا الشخص كل ما تكلَّم أنه مرائي ومنافق، وهذا يقصد كذا في كلامه فيه سوء ظن بالناس. ثم أنك اتقيت، فالذي يحصل في قلبك يُحفظ، تمتنع عن أن تسيء الظن في الناس.

المغفرة {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} هذه تابعة للإصلاح، أي: إذا أصلح أعمالكم يغفر لكم النقص، يعاملنا باسمه الغفور الشكور، يغفر لكم النقص، فالله يعاملنا بعد التقوى باسميه الغفور الشكور.

لا زلنا نتكلَّم عن فوائد التقوى، نسأل الله أن يجعل هذه التقوى مكانها قلوبنا، وأن يشفي أمراض القلوب والأبدان.

〉 **الفائدة العاشرة: أن التقوى سبب لنيل محبَّة الله تعالى.**

وهذه المحبة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، يقول الله تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[2].

وهذه الآثار المتصلة بحب الله وبذكره من الأشياء التي يجب أن تدرِّب نفسك على الرغبة فيها.

فلمَّا نأتي بمثال (أذكار الصباح والمساء) لو قلنا لك: إن غالب الناس ما سبب ذكرهم هذه الأذكار؟ غالب الناس يقولون للتحصين والحفظ من الله. لا بأس هذه فوائد تابعة لكن الفائدة الأصلية التي يجب تكون منك على بال وأن يتحرَّك قلبك لأجلها أنك لو ذكرت، ذكرك الله.

مثل آية سورة الأحزاب، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ}[3] يكفيك أنه-سبحانه وتعالى-يصلِّي عليك، أي: يُثني عليك، تصلِّي على النبي-صلى الله عليه وسلم-وتطلب من الله أن يُثني على نبيِّه، وفي صلاتك على النبي-صلى الله عليه وسلم-اعتراف منك بالدين كله، فتأخذ الصلاة هذه المكانة لأنها اعتراف بالدين كله واعتراف بالرسالة، واعتراف بما جاء به الرسول-صلى الله عليه وسلم-واعتراف بمحبَّتك لثناء الله على الرسول، مثل اهتمامك بالصلاة على الرسول فأنت مهتم أن يصلِّي الله على الرسول-

(1) [سورة الأحزاب: 71]
(2) [سورة آل عمران: 76]
(3) [سورة الأحزاب: 41]

صلى الله عليه وسلم-لمحبتك للرسول، أيضًا أنت محتاج أن تحب نفسك وأن يصلي الله عليك، كيف يصلي الله عليك؟ عندما تذكره.

فأين ذهبت هذه الفائدة؟ اضمحلت في باب المصالح غير المرتَّبة، أعلى مرتبة أن تطلب هذه المصلحة العظيمة أن يصلّي الله عليك، **فإذا أثنى عليك الله صلحت الدنيا والآخرة، إذا أحبك الله صلحت الدنيا والآخرة.**

في الحديث: ((كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))[1] إلى آخر ما تفهم من آثار محبة الله للعباد.

نحن في هذه الفائدة نحتاج أن نعيد ترتيب أولوياتنا لأن هناك مشكلة في أولوياتنا، يفترض أن يكون أولى أولوياتنا أن يكون الله عنك راض، ما هي أول همومك أيها العبد؟ أن يرضى عليك الله وأن يحبك الله، أن ينظر إليك نظر الراضي عنك، أن يُثني عليك، كل هذا أولويَّة، فكأنك تبحث ماذا أفعل من أجل أن يحبني الله؟ ماذا أفعل من أجل أن يُثني عليّ؟ ماذا أفعل من أجل أن يرضى عنِّي؟ حبك لحبه سبب لتقواك، فإذا اتقيت كنت من أهل محبته.

فادفع نفسك للتقوى لأنها سبب أن يحبك، ونحن نتودَّد لمن نحب تودُّدًا عظيمًا، فنفعل الأفعال كلها التي يحبونها.

مطلوب منك إذا كان من أعظم أولوياتك أن يحبك الله، أن تأتي هذه المرَّة على وردك وتقول كيف سيحبني الله؟ لن أصل إلى ذلك إلا عندما أعرف هو يحب من؟ يحب المتقين، يحب الشاكرين، يحب المتطهرين، هات كل صفات من يحبهم الله وكن في فلكها؛ من أجل أن تصل إلى محبته، ستجد كل الصفات يصب بعضها في بعض.

المقصد الآن أن هذه المصلحة من التقوى ستحرِّك قلبك وسترى أن لها أثرًا عليك، متى؟ عندما تكون محبة الله مقدمة عندك، أي: من أمانيك، مما ترجوه، مما تنتظره، مما تشتاق إليه أن يحبك الله، ماذا تفعل؟ تكون من أهل التقوى.

إذًا **من آثار التقوى أن يحبك الله**، كل مرَّة تتقي الله فيها سيكون سببًا لأن يحبك الله.

اتَّفقنا أن التقوى عمليًّا هي عبارة عن طاولة مفاوضات، ومكانها في قلبك، بين النص وما في حكمه، وبين قناعاتنا، وشهواتنا، وتصوراتنا للمسائل، يأتي في وسط طاولة النقاش هذه خانة اسمها الجهاد، إذا قَوِي النص سيتغلَّب النص على الهوى، على القناعات وعلى الشهوة، فكيف يقوى؟ يقوى من جهة بالعلم، ويقوى من جهة بالمجاهدة.

وبالعكس **متى تقوى شهوتك أو هواك أو قناعتك؟** إذا ضعف الجهاد، فتكون متذكِّرًا النص، لكن لضعف المجاهدة يغلبك هواك، وتصوُّرك وقناعتك.

- لذلك دائما في داخلك صوتان:

1. صوت يدعوك إلى التقوى.
2. صوت يدعوك إلى الهوى.

أول التقوى أن تلزم الاستعاذة ليخفت صوت الهوى وتجاهد، فكِّر في زمن قضاء الشهوات كم سيكون؟ كله دقائق، ثواني، كلمة، كلمة أتت من غضب، زمن الكلمة ثانية، مثل طلقة الرصاصة التي تقتل تأخذ ثانية! وهذه الثانية كما ذكرنا

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، 6502

في قصة ابني آدم {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ}[1]، وفعل (طوَّعت) معنى ذلك: نقاش طويل ومحاولات، وكان الجانب الأقوى ألَّا يقتل، والجانب الأضعف أن يقتل، لكن بقي يُطوِّع نفسه لقتله حتى طاعت، فكأن نفسه كانت معارضة ثم طوَّعها إلى أن أطاعت، فهذه معركة عكسية.

مثل البنات العفيفات، حين تكون لها صحبة فاسدة، وكلهم يقنعونها أن تفعل وتفعل، وهي ترفض وبداخلها شيء يقول لها: ليس أنتِ. ثم تُطوِّع نفسها من أجل أن تجاريهم، وهذه مجاهدة عكسية.

ولذلك في الغالب حين يكون في هذه المجاهدة العكسية يكون في سماء، ثم يسقط فتخطفه الطير فتهوي به الريح في مكان سحيق غالبًا، أي: بعد أن تكون محفوظة بحفظ الله وهو يجاهد من أجل أن يُفتن بعد حفظ الله له، مثل آية سورة الحج ماذا فعل؟ {كَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}[2] الآن هواك قوي أو قناعاتك قوية ولديك النص أو ما في حكمه، فعندك صوتان على طاولة النقاش:

1. صوت النص، الذي في الحديث اسمه ((لمَّة الملك)).
2. وصوت الشهوة أو الهوى أو القناعة أو التربية. إلى آخره، وهذا اسمه ((لمَّة الشيطان))[3].

وأحيانا يحصل عندي مشكلة؛ لا أعرف أيهما لمَّة الملك وأيهما لمَّة الشيطان، بمعنى أنه عندي شيئين ظاهرها خير، فأول ما تأتيك المعركة **ضعِّف لمَّة الشيطان بالاستعاذة**، لكن هل الاستعاذة وحدها تحل المشكلة؟ لا تحل المشكلة وحدها، كلَّما قويت الشهوة لابد أن تضم للاستعاذة صدق المجاهدة؛ لأنني ممكن أستعيذ وعقلي لازال يفكِّر كيف يصل إلى الشهوة وتجد أني أخطِّط! فقد أقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ومن جهة أخرى أخطِّط وأتخيَّل وأفكِّر، فعقلي لا يزال يفكِّر في الشهوة.

إذًا التقوى جهاد تدفع به هواك طلبًا لرضاه.

لذلك لابد أن يعتمد على العلم؛ لأن طاولة النقاش هذه لا تحصل إلَّا إذا استطعت أن أشخِّص أنه هوى وأنه يخالف النص.

لماذا لابد من العلم؟ لأنك لا تستطيع أن تشخِّص أن هذا هوى وهذا من الشيطان إلا حين يكون معك علم، ثم تحصل المعركة بين العلم وبين هواك.

فلو هناك شخص في الديار التي رُبِّيَ أهلها على أن الشرك دين، وعلى أن الذبح والطواف على القبور قربة إلى الله، هل هناك طاولة نقاش تحصل؟ لا توجد طاولة مفاوضات، في الديار التي ربِّيَ أهلها على أن المرأة هي وليَّة أمر الرجل وهي التي تتحكَّم فيه، ويقال لها: زوجك على الطريق المستقيم الذي ربَّيْتيه عليه! فلا يوجد أي إحساس أن هناك خطأ، ويوم القيامة هناك حساب طويل أعطيتيه حقه أو لم تعطيه!

الآن الثقافة العكسية، ثقافة أن عليه حقوق وأنا ليس على واجبات، أو ثقافة تعظيم حقي على حقه، أو ثقافة تداخل الحقوق بحيث أني لا أعرف أن أميِّز، فهذه الثقافة لا تجعل هناك طاولة نقاش بالأصل؛ لأنني أشعر أن هذا حقِّي.

---

(1) [سورة المائدة: 30]

(2) [سورة الحج: 31]

(3) صحيح ابن حبان.

مثلا قاعدة: أن للطاعة بركة. هذه القاعدة البيوت تَعْمُر بها، فقط كلمتين طاعة الله لها بركة، طاعة الزوج لها بركة، طاعة كل من هو أعلى لها بركة، مهما كان رأيك سديدًا، لكن الله ينزع من رأيك البركة إلى رأي زوجك لأن الله يُصرِّف الأمور، ثم تندمين على أنك عارضتيه.

المقصود من غير أن تكون هناك معرفة وعلم لن تكون هناك طاولة النقاش، الآن عمليًا عندما تجاهد هواك لأنك تعلم أن هذا يرضي الله، هذه اللحظة لحظة محبة الله لك، فافهم هذا جيدًا، وهذا الأثر يجعلك تساعد نفسك على التقوى؛ لأنه ستكون هذه اللحظة الله ينظر إلى قلبك ويرى جهادًا، ويرى طلبك لرضاه، فيكون هذا الجهاد سببًا لمحبَّة الله، فأنت تصوَّر المسألة جيدًا وقت المعركة في الداخل، هناك من ينظر إلى قلبك وهو يَعترك، ثم قوة المجاهدة سبب لمحبة سيدك ومولاك، محبة الملك الذي لو أحبَّك صلحت الدنيا والآخرة.

فهذا الأثر سبب لترطيب الجهد، سبب لتهوينه وتسهيله، فتكون طيلة الوقت لو ازددت علمًا ستجد أن نفسك طيلة الوقت تجاهد.

لنقل: إن معك علم، وعندك طلاقة لسان، تجاهد ألَّا تكتم العلم، أتوا أخافوك وقالوا لك: انظر أنت تتكلَّم وتحسن ويجتمع عليك الناس هذا قد يكون رياء-بسهولة يدخل في الرياء-، فتصبح تتكلَّم طلبًا للرياء وطلبًا ثناء الناس عليك، بسهولة تنحرف النِّية هنا، فتقول: الحل ألا أتكلَّم! فنقول: غير صحيح. سيكون هذا نوع من أنواع كتمان العلم، فمن يتكلَّم مشكلة ومن يسكت مشكلة، فماذا يفعل؟

ليس لديك إلا طاولة النقاش، تجاهد وتتكلَّم، وأنت تجاهد ألَّا يلتفت قلبك لغيره، لا يوجد حل ولا يوجد مجال للهروب، تصوَّر أن الحياة كلها هكذا الآن، لو قلت: أنا تعبت من العلم والمجاهدة أريد أن أكون مستقيمًا، نقول: تستقيم لن تذهب نقطة المجاهدة، ستستقيم ويفتح لك مكان آخر من جهة، ستبقى مجاهدًا؛ سأجاهد طيلة الحياة مع اختلاف الأطراف الذي سأجاهد فيها، فتقول: إذا كانت هذه الحياة، الموت أحسن!

نقول: لا تغلق على نفسك، كل لحظة مجاهدة، يقابلها محبة من الله، كل الناس لا يشعرون ماذا تفعل أنت، وكلهم لا يرون إلا ظاهرك، في المقابل أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم.

اليوم الحج مهما كانت الرفاهية، مهما كانت الحملة سيئة، فاليوم كل تفكيرنا كم المسافة بين مكاني والجمرات، الناس كانوا يسيروا كل هذا على أقدامهم من مكة لمنى لمزدلفة، هذا كله من الضعف، لكن مع كل الرفاهية الموجودة لكنك منذ أن تدخل الحج إلى أن تخرج وأنت تجاهد، أين الجهاد؟ في قلبك، في المكان الأعظم للجهاد، تجاهد أن تصلِّي ولا ترائي، وتجاهد أن تقوم الليل ولا ترائي، وتجاهد أن تقرأ القرآن ولا ترائي، وتجاهد ألَّا تتكلَّم بكلمة لا ترضي الله في هذا المكان، جهاد طوال أربع أيام لكنه سنين من جهة الجهاد؛ لأنك تصوَّر أنت تمنع نفسك عن كل شيء. تركب حافلة فاخرة وتجلس في مكان فاخر، احفظ قلبك ألا تعجب بنفسك، ولا تتكبَّر على الخلق، وألَّا ترى نفسك خيرًا منهم، وتخرج وترى الناس على الأرض فترى نفسك أنك أحسن حالًا منهم، المطلوب منك أن تحفظ قلبك طيلة الطريق من مكان مخيمك إلى الجمرة، لا تطمع ولا تعجب بنفسك. ولو كانت خيمتك متواضعة، ثم رأيت الناس، المطلوب ألَّا تطلب الدنيا ولا تتمناها ستجاهد، فأنت ستجاهد ليس هناك حل.

أربعة أيام وترجع كيوم ولدتك أمك؛ لأنها معركة.

تكون شخصًا مثلًا تشمئز وعندك شيء من الوسوسة، وذهبت ودفعت أموال لتذهب لمكان أنظف ما يكون، ثم تبتلى ببلوى من أي نوع، أو مثلًا تخاف من السيارات الكبيرة، لا تحب الانتظار، فتدفع أموال لتكون لك سيارة خاصة، فيأتيك بلاء فتسير كل الحافلات وسيارتك تتعطَّل وتقف في مكانك، وهذه مواقف واقعية، فكل هذا ماذا يقال لك فيه؟ أنك لابد أن تُختبر وتجاهد.

ونحن مشكلتنا أننا لابد أن نبحث عن أحد نُلصق به المشكلة، نقول الحملة، والناس، الجارة التي جلست بجانبي.

مثلًا أنت شخص لا تحب الكلام ابتليت بمن بجوارك يكلِّمك ويتكلَّم جوال. الصبر الصبر، اصبر لا تقول له من أول يوم: يا أخي لا أحب أحد يكلمني! انظر إلى الخسارة من أول يوم! ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ)[1]

وأحيانا أنا أحب الكلام، فأبتلى بشخص لا يرد علي حتى السؤال، فأقول هؤلاء الناس يروا أنفسهم! لابد أن تتصوَّر أن كل هذه المعركة في الداخل، هذه الأربعة أيام هي صورة للحياة، لكن في الحياة لا يكون الأمر كله متتابع.

○ كيف نجاهد الرياء؟

لازالت النصوص أمامك، مثلا أنا شهوتي الثناء، اتَّفقنا أن مشكلة الرياء حبُّنا للثناء، كلُّنا نحب الثناء، هناك شخص يحبس هذه الحاجة على الله، ويقول: أنا لا أريد إلَّا أن يثني عليّ الله، وآخر انفلت زمام نفسه فصار الكلام يطربه، فأنت كلما تعلمت عن الله وتصورت حال الأتقياء وفهمت ما أثر ثناء الناس عليك، لما تَقْبل ثناءهم ما أثره عند الله، لما تقبله وتحبه فهمت أنه شرك أصغر، وفي الآية {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ}[2].

قال أهل العلم: "لا يُغفر الشرك لا كبيره ولا صغيره".

هذا هو القول الراجح والله أعلم، لكن صغيره يُدخل صاحبه النار ثم توزن أعماله، أي: لا بد أن يُنَقَّى من خطيئة الشرك، فتصور تكون أعمالك كثيرة صالحة لكن توزن لك بعد أن تدخل النار من أجل أن تنقَّى من خطيئة الشرك الأصغر، أما الأكبر فمتَّفق على أنه الخلود والعياذ بالله.

دائمًا ضع في عقلك ما معنى أن تطلب ثناءهم! كلمة من شخص لا تساوي شيئًا، ما هذا الثناء الذي لا يساوي شيئًا؟!

لذلك ماذا كان يقول السلف من أجل أن يعالجون قلوبهم؟

قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-: "من عرف الناس استراح، فلا يطرب لمدحهم، ولا يجزع لذمهم، فإنهم سريعو الرضا، سريعو السخط، والهوى يحرِّكهم".

فضع هذا القانون أمام عينيك، فلا تطرب لمدحهم، ولا تجزع لذمِّهم، فلماذا تعتني بهم؟!

سائلة تسأل عن دعاء: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا لاَ أَعْلَمُ))[3].

في لحظة الرياء ادعُ بهذا الدعاء لتُحمى من الرياء، لكن لحظة ما يتحرَّك قلبك، لابد أن تفهِّم نفسك وتناقشها أن ثناءهم لا شيء، تقول لنفسك: أنا أريد أن أكون مع الموصوفين في سورة الإنسان: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا}[4]، فأنت اجمع لنفسك النصوص التي تقوِّيك لحظة وقوعك.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصِّلة والآداب، باب فضل الرفق، 2594

(2)[سورة النساء: 116]

(3) صحيح الأدب المفرد، 716، صحيح

(4) [سورة الإنسان: 9]

تقول: أنا لا أريد ثناؤهم ولا يطربني ثناؤهم بل أخافه وأخشى أن يكون هذا جزائي ويأتيك البكاء، مثلًا اجتهدت وعملت عمل خيري واجتهدت ثلاث أو أربع ساعات وبعدها وأنت خارج يقال لك: (كثَّر الله أمثالك لو مثلك في البلد كانت صلحت!) فتنتعش وتشعر أنه يا ليت يكثِّر من هذا الكلام، أو تركب السيارة مع أحد وتقول: كيف كانت المحاضرة؟ كيف المثل الذي ضربته بالله! أليس مناسبًا! وبعد ذلك ذهبت الثلاث ساعات هباءً منثورًا، ويا ليتها راحت هباءً منثورًا، بل ذنب عليك.

فلا بد أن تتصوَّر خطر الشرك الأصغر، لابد أن نتصوَّر أن الرياء يدخل على العمل فيُفسده.

عندما تتوضئين أليس هناك نواقض للوضوء؟ بلا، مثلما تُفسد نواقض الوضوء، الوضوء، وتكون نتيجة هذا العمل كأنك ما توضأت، وكذلك نواقض الإخلاص على الإخلاص تفسده كأنه ما فعله، لكن يا ليت فقط ما فعله، المسألة الأعظم أنها إثم عليك بل رياء وشرك أصغر.

لو رتَّبت تفكيرك أن طلب الثناء حق لله، فلا تجعل ثناء الناس على عمل شرعي إلا حق لله، وأنت كلَّما ترقَّيت أصبحت لا تطلب إلا ثناء الله، لا تطلب على عمل شرعي الثناء إلَّا من الله، لكن الأصل عمل الآخرة لا تطلب ثناء من أحد إلَّا من الله، لكن لما تترقَّى، فحتى عمل الدنيا لا تطلب عليه ثناء إلَّا من الله تعالى.

– سائلة تسأل عن الخواطر الرديئة، هل أجاهد هذه الخواطر؟

من ذا الذي ينجو من هذه الخواطر؟! إبراهيم–عليه السلام–وهو يُلقى في النار على ضعفه أقبل على حرارة النار، وضعوا حطبهم في وادي وجعلوا الوادي يشتعل على رأسه والقوة في النار، ثم يأتيه جبريل فيقول: ألك حاجة فيقول: (أمَّا إليك فلا، وأمّا إلى الله فحسبي الله ونعم الله الوكيل).

تصوَّري قوة التوحيد، لا يطلب من جبريل وهو يعلم من الذي أرسله، ونحن حين نلقى أي أحد في الطريق نطلب منه، ثم انظري لمقامات التوحيد لما يؤمر برؤيا أن يذبح ابنه فلذة القلب الذي لو أصيب بشيء من غيرنا فزعنا ومع ذلك يستجيب، وبعد ذلك يقول: {واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ}[1]!

إذًا كل العباد ممكن يحصل منهم هذا الانحراف سواء الأكبر أو الأصغر، فنحن على خطر أن يُسْلَب الإيمان منَّا بسبب ترك الجهاد، فنحن هنا في مكان الزرع مكان الحرث، مكان البذل ثم تحصد عند الله تعالى.

المقصود أن حب الله لك يكون لحظة ما يكون منك الجهاد، قد تقول: إني صاحب معاصي فكيف يحبني الله؟ نقول: يحب فيك إيمانك، لحظة مجاهدتك تكون محبة الله لك، والله–عزَّ وجلَّ–لا يحب عباده كلهم سواء، كلَّما زاد الإنسان جهادًا كلَّما زادت محبة الله له، **وزيادة الجهاد سبب لزيادة الإيمان**.

ولهذا إذا ظننت يقينا أنك في معركة بين نص أو ما هو في حكم النص وبين هوى أو قناعة، وعلمت أن الحل هو الجهاد، بقي عليك أن تفهم ما معنى {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ}[2]، أول النصر أن تقوى على المجاهدة.

هذا كله من أجل أن تفهم أن الساحة أولًا قلبك، وأن الله ينظر لقلبك فيحبك بسبب جهادك لهواك.

---

(1) [سورة إبراهيم: 35]

(2) [سورة محمد: 7]

- من فوائد التقوى ما ورد في سورة البقرة {وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}[1].

هذا بنفسه مبحث عظيم، شاهده واضح جدًا لكن يحتاج إلى ترتيب، أيُّهما أوَّل: فهمك للكتاب يسبِّب التقوى أو التقوى تسبِّب فهمك للكتاب؟ هنا الإشكال، قال تعالى: {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[2] أصبح هو هداية لكن لمن كان متَّقيًا، وهو هذا نفس الأمر هنا {وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}.

- **العلم يمر بأربعة مراحل:**

1) أول المراحل في العلم: **التعريف به**. أي التعريف بهذه المسألة.

أي أن أعرف ما هو التوحيد، ما هو الشرك، وهكذا.

2) ثم بعد المعرفة يأتي **الفهم الدقيق**.

3) **التطبيق**، يتحوَّل من مجرد كلام إلى فعل.

ليس شرطًا فعل بمعنى فعل لكن يميِّز الصواب من الخطأ بناءً على علمه، في علوم الدنيا مثلًا، أولًا يعرف أن هناك جدول ضرب ويحفظه، ثم يفهِّمونه إيَّاه وأن هذا الضرب تكرار الجمع، ثم يأتون له بمسألة رياضية فيطبِّق الذي تعلَّمه على هذه المسألة أو يشتري ويبيع ويطبِّق هذا الكلام على هذه المسألة.

4) **التعزيز**، هذا فوق التطبيق، تصبح كأنها طريقة يتعلَّم بها ويعيش بها، يمارسها دائمًا.

في أول الكلام قلنا: إن التقوى لها ثلاث أركان: أوَّلها العلم، هذا العلم في أي مرحلة سيكون؟ قبل التقوى، اسمه (التعريف) أي المرحلة الأولى، كأنه يقال لك: خذ كتاب الله، اقرأه، ستعرفه لكن حتى تفهمه فهمًا دقيقًا تحتاج أن يكون وصفك متَّقي، من أجل أن تطبِّقه على الحياة تحتاج أن تكون متَّقيا، كلَّما زادت التقوى ارتفعت في المراتب، لكن معرفة كتاب الله وقراءته يشترك في الانتفاع منها المتَّقي وغير المتَّقي.

أولادنا في المدارس يدرسون كتاب الله ويفهمونه، يفهمون التفسير، لازالوا في المرحلة الأولى (التعريف) قد ينتقلوا للمرحلة الثانية بشيء من التقوى خصوصًا في مرحلة المراهقة يكون التدين فيها عالي، من الـ (14 إلى 18)، مرحلة فيها قوة ارتفاع إلى الأعلى، وفيها شيء من حب الدين، من تقوى الله، فينتقلوا لمرحلة الفهم لكن لا يمكن أن يصل لهدى وفهمًا دقيقًا ولا سببًا للتطبيق والتعزيز إلَّا إذا كان متَّقيا.

فأنا الآن سآخذ العلم معرفةً، وأضعه على طاولة النقاش، إذا بدأت أتَّقي وأجاهد به، ستتحوَّل نفس المعلومة من مجرَّد معرفة إلى فهم-مجرَّد معرفة إلى حد التطبيق-أعزِّز به نواحي الحياة كلها، كم من الآيات والنصوص نحفظها ونعرفها من زمن طويل!

حديث ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))[3]

---

(1) [سورة البقرة: 282]

(2) [سورة البقرة:1-2]

(3) متفق عليه، أخرجه البخاري (52)، ومسلم (1599) واللفظ له.

اللقاء الثالث

منذ متى نعرف هذه المعلومة؟ منذ بداية المدارس، لكن هل فهمنا؟ لا، بل بقينا في مرحلة المعرفة كل هذا العمر، ما وصلنا لمرحلة الفهم الدقيق مع التطبيق إلَّا لمَّا ازددنا في إرادة طلب رضا الله.

كلَّما زادت المعلومة كلَّما زدت إيمانًا فتصل المعلومة للأعماق، فأنت تتَّقي، يعلِّمك الله، فتجد أن نفس المعلومة يصبح لها أثر كثير.

كثير من الدول الإسلامية ما يغيب عن أهلها اسم الله الرزَّاق، أحدهم يفتح محله ويقول يا رزَّاق يا كريم! لكن في منتصف النهار يتضارب هو وجاره على الزبون! لأنه مجرد معرفة.

وأسماء الله إلى زمن قريب يضعونها بطاقات في حقائبهم، عندهم فقط المعرفة، لكن هل وصلت لدرجة الفهم الدقيق والتطبيق والتعزيز؟ لا.

كيف نصل إلى ذلك؟ أبذل جهدي أن أفهم المعلومة؛ أطلب من الله يزيدها {رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[1]، أين الذل لطلب العلم؟!

في الحديث يقول موسى عليه السلام: ((يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ))[2] موسى-عليه السلام-مع أنه نبي لكنه لا زال يطلب العلم، ويطلبه العلم من مصدره.

كلَّما زدت تقوى، زاد العلم هداية لك.

لذلك تفسِّر أن ناس كثير يصلون لحد مرتبة الأستاذ والدكتور، أو تجد عنده من الكتب الكثير في علوم الدين، لكن لا تجد أثرًا لهذا المعلوم على سلوكهم ولا قلوبهم، ولا على العناية بالنصوص، ما السبب؟ أنهم لا زالوا في مرحلة المعرفة.

فأنت تأتيك المعرفة أولًا وكلَّما تَيَسَّر لك استعمال المعارف، تستعملها فلمَّا تستعملها يفتح لك أبواب الفهم الدقيق؛ أي يفتح لك مساحة في قلبك.

مثلًا عرفت ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ)) استعملها، فكِّر بعقلك، أعطِ نفسك فرصة للتفكير، يأتي هذا السؤال بالفهم الدقيق، وكلَّما زدت إرادة لهذا الفهم-كونك تريد أن تستعمل النص في مكانه-هذا بحد ذاته تقوى فيعلِّمك الله.

{ألم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}، لمن كان متَّقيًا، سيهديه في العمل، سيكون هاديًا له منارًا له، سيستطيع أن يستفيد منه.

العلم قد تجمع منه الكثير من المعرفة وتضعه على جنب، تكتبه في كتب وتسجِّله في مذكرات، لكن يمكن أن يجتمع العلم وما ينفع صاحبه.

○ متى ينفع العلم صاحبه؟

ينفع صاحبه عندما يأخذه ويعيشه وينفِّذه ويتَّقي به، هذه المعلومة الصغيرة تعمق إلى الداخل.

---

(1) [سورة طه: 114]

(2) رواه ابن حبان، والحاكم وصححه.

اللقاء الثالث

عندما تقارن بين حفظ السلف للقرآن حفظ الصحابة والخلف ترى عجبًا، ليس كل الصحابة يحفظون القرآن كاملًا، بينما الخلف اليوم ناس كثيرين منهم يحفظون وهذه حالهم، ونحن حفظنا القرآن وهذه حالتنا، ما الفرق؟ الفرق أن آية واحدة يعيشونها إلى الداخل، إلى أعماقهم، يعرفونها يفهمونها فهمًا دقيقًا، يطبقونها في حياتهم، يعزّزوها ويجعلوها قاعدة للتفكير، علَّمهم الله بسببها مالا يعلمون، لكن ناس يحفظون كلام كثير وحافظين القرآن، ودخلوا في مسابقات لحفظ السُّنة، وكثرت عليهم المعلومات لكنها كلها في سطح المعرفة فقط، فنحن لا نحتاج كلامًا كثيرًا نُحشّي عقولنا به، بل نحتاج أن هذه الآية نقف أمامها، كم منَّا يقرأ في صلاته {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}[1]، لكن هل تشعر بهذا حقيقةً؟

في الحقيقة ألهانا التكاثر، في الهواتف النقَّالة نتكاثر، مظهر نتكاثر، حقائب نتكاثر، انتهوا أهل الدنيا من كثرة التكاثر، ونأتي إلى أهل الدين لأهل العلم يتكاثرون بكتب العلم والأوراق وحضور الدروس يتكاثرون، إذًا التكاثر أنواع لكن أهم شيء أن صاحبه في التكاثر قلبه لاهٍ، يسير ولا يفكِّر أنه سيلقى ربه، يسير ولا يفكِّر في حفرته التي سيكون بها!

من أجل ذلك قال الله {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[2] ذاك الوقت حصلت الإفاقة، لكن إفاقة مالها معنى، هل أيقظتنا من التكاثر الذي نعيشه؟ لا، فقط قراءة ومعرفة، نحن نقرأها لكن ما نشعر بمعنى أن ألهاكم من التلهّي، حتى الكلمة ليست مترجمة عندنا، فلم يصبح القرآن هداية، لماذا؟ لأنه لا يوجد فهم دقيق بُذل من أجله الوقت، ولا يوجد تطبيق للقليل الذي أخذته، القليل الذي يسبب استقامة للحياة.

الرسول-صلى الله عليه وسلم-قال: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ)) أليست الكلمة تشكِّل الحياة؟ تكفيني لأدفع العنف الأسري، لكن أين؟ حتى أحل مشكلة في مدرسة أو في عائلة، أرى عشرة أشخاص يتدخلون وستون جلسة نأتي ونذهب، وهي كلها كلمتين ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ))؛ لأننا فتحنا أبواب العمق لغير هذا، نحن عميقون لكن في الذي يوافق هوانا، لما تكون صاحب تخصص لا تحب أن تكون سطحيًا فيه، بل نريد أن نكون في داخل أعماقه.

مثلًا لو أحد يحب أن يتعمَّق في علم ما، كالذي يتعمَّق في علوم الدنيا كعلم التّطبب بالأعشاب لكن ما درس ولا تخصَّص، بل حتى في رمضان أيام التراويح والتهجد تقوم في النساء خطيبة وقت المغرب تقول لهم: بعد ما تفطروا خذوا العُشْبَة هذه لتنشطوا! ولا أحد يقول لها أين أنتِ؟! كلهم يسمعونها، وتقول: إن هذه العشبة أتت من هنا، وهو لا تخصَّص ولا شيء لكن ثقافة.

فنحن نقبل أن نكون عميقين لكن في أمر الدنيا، الله تعالى يقول في سورة الروم: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}[3].

الأربعة مراتب في العلم تفهمك أن تكسب العلم أولًا ثم تبذل الجهد فيه، وكلَّما بذلت الجهد وجعلته منارًا جاءتك التقوى، والتقوى تسبب لك تطبيقه وزيادة تعزيزه.

انتهى اللقاء الثالث ولله الحمد، يتبع اللقاء الأخير . .

---

(1) [سورة التكاثر: 1]

(2) [سورة التكاثر: 2]

(3) [سورة الروم: 7]

اللقاء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

لا زلنا بفضل الله وبنعمته نتناقش حول مسألة التقوى، وقد مرَّ معنا في اللقاءات الماضية الكلام حول تعريفها وأركانها، وأهم شيء في الأمر: ما أركانها من أجل أن تصل إليها؟

العلم.

1. **المحبة التي فيها الخوف والرجاء.**
2. **العمل أو الترك.**

على ذلك تقول تعريف طلق بن حبيب للتقوى: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله"، لابد أن تأتي بهذه الثلاثة، تعمل وسبب عملك أن عندك نور وليس مجرد تقليد، وتريد ثواب الله.

والشق الثاني: " تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله ".

مرَّ معنا أيضا فوائد التقوى، فَصَّلناها عمليا، فالتقوى هي تلك الحال التي تصيب الإنسان في قلبه عند مصارعة أمرين قد يكونوا متضادين، أحدهما تبع لهواه وقناعاته وتفكيره والآخر تبع للنص، ناتج التقوى أن تعمل، ناتج التقوى أن تترك الناتج، أن تعمل أو تترك، لكن نفس التقوى عمل، عملية المجاهدة.

المجاهدة في لحظة تكون التفكير، لابد تعرض عليك المواقف، وحتى تفهم التقوى افهم الحديث ((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا))[1] شخص محصور، أي محبوس، والعرب لما كانت تحبس مَن تراه مجرمًا كانت تحفر له حفرة في الأرض ثم تضع حول هذه الحفرة على سطح الأرض مثل الأخشاب أو العيدان، بحيث لو أراد أن يتسلق تمنعه هذه العيدان من الهروب، فيصبح هو في وسط الحفرة وفي نفس الوقت محصور.

فالفتن تعرض على القلوب كعرض الحصير عودًا عودا، كعرضها على شخص محصور، عودا عودا؛ لأنهم بعد ما يدخلونه يضعونه عودا عودا.

((فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا)) أي: استقبلها.

ما علاقة (أُشْرِبَهَا) بالتقوى؟ عندنا قلبين:

((فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ))

1) إمَّا الإشراب، بمعنى الاستقبال.

2) وإمَّا الإنكار.

أين موطن المجاهدة في هاتين الكلمتين؟ في الاثنين يوجد مجاهدة، القلب لما يَشْرب المنكر، يستقبل المنكر، ليس معناه لا يوجد مجاهدة، ممكن يكون فيه مجاهدة لكن ضعيفة أو مجاهدة انتهت بغلبة الشهوة والقناعة المخالفة للشريعة، انتهت بغلبة هذا النص فكانت النتيجة أن القلب استقبل المنكر وقبله.

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، 144

((وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا)) هنا الهوى، القناعات، التربية وآثارها، والجهة الثانية النص، الأمر الشرعي، القلب الذي أنكرها في عملية الجهاد انتصر النص فأنكر وطرد المنكر، معناها أن التقوى تأتي بعد عرض الفتن عليك، والفتن إما تحصرك وإما تَفُك أسر نفسك بالتقوى، أنت تفك أسر نفسك لما تكون متقي؛ لأن قبولك للمنكر معناه يزيد حصرك.

كأنك تتصور الحياة هذه الحفرة، وكأنك تتصور الفتن بمثابة هذه العيدان، الخشب الذي يحصر الخارج منها، إذا اتقيت، فهذه الأخشاب أو الأعواد لن تكون موجودة، إذا لم تتقِ حصرتك، كالحصير، أي كالذي حُبس، **المنفذ هو التقوى**.

〉 ما التقوى؟

المعلومة الجديدة التي فهمناها أن التقوى لابد أن تأتي بعد عرض فتنة، الفتن تعرض عليك كم مرَّة في السنة؟ أو كم مرَّة في الشهر؟ أو كم مرَّة في اليوم؟ أو كم مرَّة في الساعة؟! بصورة لا تتخيَّلها، بصورة لا يستطيع إدراكها إلا من كان عنده قلب سليم.

المقصود أن الإنسان طوال الوقت هو يُختبر، واختباراته إما يعاملها بالتقوى فينجو، أو يعاملها بالهوى فيزيد على نفسه الحصر.

دخلت علينا عوامل كثيرة في التقوى:

1. أمر **المجاهدة** تحتاج إلى عناية ودراسة وتدقيق، ما هو الجهاد.
2. **الفتن**، لابد أن تحررها جيداً، ماذا تتصوَّر معناه؟ الفتنة محصورة عندنا بالمال والأزواج والأبناء، هذه رؤوسها لكن وراءها تفصيل طويل، أحتاج أفهم ما هي الفتنة وما هي المجاهدة.
3. العامل الثالث: **ما هو العلم؟** كيف يكون العمل حقيقة على طاعة الله؟ ثم ما هو الخوف والحب والرجاء الواجب أن يكونوا في القلب؟ كل هذه مباحث نحتاج أن نحرِّرها ونفهمها بدقة لتنجح عملية المجاهدة.

بعد هذه المفاهيم التي تتصل بأصل كلمة التقوى، يأتيني الكلام حول الفوائد من التقوى على الإنسان في الدنيا، مرَّت معنا 11 فائدة.

〉 الفائدة الثانية عشر: سبب قوي تمنع صاحبها من الزَّيغ والضلال بعد أن مَنَّ الله عليه بالهداية

أواخر سورة الأنعام بعدما ذكرت أوامر، ثم أشار–سبحانه وتعالى–لهذه الأوامر بأنها الصراط المستقيم، قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}.

اسم الإشارة إلى ما سبق من الأوامر، ما هو المطلوب منك؟ {فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}.

هذا الذي وصيّتم به ما نتيجته؟ {ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[1].

انظر الفائدة وانظر الآية، كيف فهمنا هذا الفهم؟

التقوى سبب قوي تمنع صاحبها من الزيغ والضلال، والآية تبيّن أنك لو اتَّبعت الصراط المستقيم ستصبح متقيًا، الآية فيها إخبار أن هذا صراط مستقيم، إذا اتَّبعته ستكون النتيجة أنك متَّقٍ.

---

(1) [سورة الأنعام: 53]

الفائدة تكاد تكون عكسية، يقال لك: إذا كنت متَّقيًا ستُمنع من الزيغ بعد أن مَنّ الله-عزَّ وجلَّ-عليك بالتقوى والهداية الآية تدل على أن العبد إذا قام بهذه الأعمال سيكتسب وصف التقوى. كيف أتينا بها من الآية؟

{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} هذا الفعل لو فعلتموه ستكونون من المتَّقين.

نتصوَّر المسألة فعليًا، شخص ائتمر بالأوامر، أصبح وصفه متَّقيًا، حين يصبح وصف الشخص متَّقي، هذا وصف التقوى مبني على قيامه بالأعمال وتمسُّكه بالصراط، لن يكون وصفه متَّقيًا إلَّا إذا تمسَّك بالأوامر؛ فمن فوائد التقوى، من فوائد بقاء هذا الاسم عليك أن تكون بسببه متمسِّكًا بالأوامر، العملية متضادة في نفس الوقت: إذا كنت متمسِّكًا بالأوامر كان اسمك: متَّقي، وإذا كنت متقي، سيكون أثره عليك أن تجعلك متمسِّكًا بالأوامر.

نقطة البداية كما في الدليل، أن تلزم الصراط المستقيم، بعدما تلزمه فأكيد أن هناك عمليَّات كثيرة في المجاهدة حصلت معك، إذا استقمت عليه وحصلت المجاهدات ودفعت، إذًا هذا الفعل تقوى، لو تمسَّكت بالطريق أصبح اسمك متَّقي، لو لزمت هذه التقوى بمعنى تمسُّكك بالطريق، أكيد أنك لن تزيغ، أصبحت التقوى-إذا بقيت لازمًا لها-مانعة لك من الزيغ.

○ متى تكون متقيًا؟

إذا مشيت الصراط المستقيم وقمت بعملية المجاهدة واتَّبعت الصراط وتركت متابعة كل السبل، يصبح اسمك متَّقي، حين يصبح اسمك تقي، من فائدته أن تبقى محافظًا على التقوى، ما هي هذه التقوى؟ أن تبقى على الصراط المستقيم.

فإذًا من فوائد التقوى أنها ذاك الأمر الذي تقوم به من أجل أن تمسك الصراط المستقيم وتستمر عليه، هو هذا الفعل الذي يسبِّب لك أن تبقى على الصراط المستقيم، وهو اسمك ووصفك لو التزمت الصراط المستقيم.

استفدنا مفهومين من الآية:

المفهوم الأول: متى تصل للتقوى {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}؟ إذا التزمت بالصراط المستقيم.

أكيد سترى الصراط المستقيم، لكن كونك تسير عليه وتلتزم به وتتمسَّك به هذا أمر ليس يسيرًا، تحتاج إلى مجاهدات، حين تخرج النتيجة أنك استقمت على الصراط المستقيم أصبحت تقيًا، حتى تحافظ على اسم التقوى لابد أن تبقى مجاهدًا.

إذًا التقوى تسبِّب لك التمسُّك بالصراط المستقيم ومن التقوى سُمِّيتَ تقيًّا، الجهاد للبقاء على الصراط المستقيم تقوى، وبذل الجهد في بقاء هذا الوصف لك فائدة لك وهو من فوائد التقوى.

هذا مفهوم مهم جدًا؛ أننا سنبلغ التقوى عن طريق التزام الصراط المستقيم، لاحظ اسم الإشارة (هذا) يجعلك تعود للآيات، لو أردنا أن نناقش التقوى المفترض نرجع للآيات ونرى كل الأعمال التي اسمها (الصراط المستقيم) ونرى كيف تكون الأعمال، ثم نفهم أن نتيجة استقامتنا على هذه الأعمال تسبِّب لك التقوى، ثم حين تقع التقوى في القلب يبذل الإنسان جهده ألَّا يترك هذا الطريق، حين تكون متَّقيًا يكون أثره أنك تتمسَّك بالطريق.

مثاله المكرر: في الصيام، أثره {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لو كان الإنسان في الصيام يسير كما يحب الله ويرضى طوال الشهر، سيكون متّقيًا، المفروض النتيجة التي يخرج بها من رمضان أن يبقى صيامه واسمه (التقي) سببًا لمنعه من الزَّيغ بعد رمضان.

لكن أين الإشكال؟ في الصيام ما كان هناك تقوى كما ينبغي؛ ولذلك لم نكسب أننا بفعلنا هذا نكون من المتَّقين، فإذا لم يتحقَّق هذا الوصف هناك، أكيد أن الثمرات والنتائج أنك لن تُمنع من الزيغ بعد ذلك.

من آثار التقوى أن تُمنع بعدها من الزيغ وتُحفظ منه، لكن الإشكال في نفس الفعل الأول ما كان موجودًا، كان يوجد ضعف في المجاهدة فما أخذت الوصف فما كان هذا الأثر عليك، شهر رمضان مثال واضح على هذه المسألة، لو كنت فيه متَّقيا-وهذه الكلمة فيها عموم الاستقامة-فالأثر أنك تخرج ممنوعًا من الزيغ على حسب درجة تقواك، والمسألة درجات.

الموسم القادم الذي نحن في استقباله أحد المواسم العظيمة التي لابد أن يكون لها علاقة قوية في قلبك بالتقوى، خصوصًا وأن أول سورة الحج قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ}[1] هذا يجعلك تفهم أن موسم الحج القادم خطابه في التقوى أظهر، وهذا يشترك فيه الحاج وغير الحاج؛ لأننا لو تأمَّلنا سورة الحج سنرى عجبًا في الكلام حول التوحيد وحول هذا العمل المهم وهو الهجرة بالقلب إلى الله، فالهجرة بالقلب إلى الله يفعلها الحاج قلبًا وبدنًا، ويفعلها غير الحاج بقلبه.

إذًا التقوى سبب يمنع صاحبه من الزَّيغ والضلال بعد أن مَنَّ الله عليه بالهداية.

نريد أن نفهم ما معنى الزيغ الذي يُمنع منه الإنسان؟

ذكرنا من فوائد التقوى أن يُصبح معك نور وفرقان، النور والفرقان ينفعانك متى؟ حين تكون هناك ظُلمة، والفرقان حين تكثر عليك السُّبل، فأنت في حياتك تمر بمواقف لا تعرف أين الصواب، كيف أفكِّر تفكيرًا صحيحًا في هذا الموقف، برغم وجود العلم والذَّكاء لكن تأتي في الموقف تقول: ما الصواب! أتصرَّف هذا التصرُّف أو هذا؟ قد تظن وتثق في أحد ليس بثقة! أو قد تقول: كل هؤلاء يكذبون إلَّا هذا الشخص، أو لا يمكن أن يكون كل هؤلاء على خطأ وأنا صواب! على شتَّى أصعدة القرار سواء في عملك أو دينك؛ لأن كثير ممَّن اتَّبع الطرق المخالفة التي لا يقبلها عقل مجرَّد، ما سبب اتِّباعه؟ هذا فيه نوع هوى لكن الهوى في اتباع الفرق قليل، أكثرها الضلال! يعني نسي حظًا ممَّا ذُكِّر به.

الناس نوعين في خطئهم:

- إمَّا بغي، حسد، هوى، شهوة، كبر؛ لذلك يفترق عن الصراط المستقيم والسُّنة.
- أو نسيان حظًا ممَّا ذُكر الإنسان به.

فأنت ترى الناس يفعلون أفعالًا في كثير من دول العالم الإسلامي-وهذا لا يعني أن هذه البلد المباركة خالية منه-لا يقبلها العقل المجرد، لكن ما الذي أضلَّهم؟ أضلَّهم أنهم لم تكن معهم تقوى تجعلهم يفرِّقون بين الحق والباطل، معناها قرارك على جميع الأصعدة يتأثَّر بمقدار تقواك حتى في علاقتك بالناس وبيعك وشرائك وقراراتك، كونك تقرِّب أو تبتعد عن أحد، كل هذا يتأثَّر بتقواك، **التقوى من آثارها أنها نور وفرقان.**

حين أقول لك: إنَّ التقوى تمنعك من الزَّيغ أي وحده من هذه؟ النور أو الفرقان؟ الفرقان؛ لأن الإنسان يأتي في مواقف كثيرة كأنه في مفترق طريق، أذهب مع هؤلاء أو هؤلاء، أقبل هذا أو هذا، أحج أو لا أحج، أنتقل إلى هنا أو إلى هنا،

(1) [سورة الحج: 1]

كل هذه فيها شدة حيرة، الحل؟ التقوى، تتَّقي يجعل لك فرقانًا، والتقوى في هذه المواقف أصلها معرفة أن الهداية بيد الله، ويحصل في قلب العبد ذل وانكسار ورجاء وطلب شديد أن يدلَّك ربك للصراط المستقيم.

- **ضد التقوى الثقة.**

الثقة في قراري ووضوح الأمر لي، والثقة أن الحق بَيِّن وأني سأتابعه؛ لذلك لما تأتي للشباب الذين فُتِح لهم باب الخروج على ولي الأمر والكلام حول أنواع الجهاد، لكن عندما تأتي توقظه للفجر، لا يقوم لصلاة الفجر! حين تقول له: لا تسمع كلامي لأن في رأيك أن الحكومة اشترتني! ولا تستمع كلام فلان وفلان من العلماء لأنك في رأيك أنهم كلهم عملاء، لكن في عبادة مهمة أنت قم بها؛ اتَّقي الله واطلب منه-سبحانه وتعالى-المزيد من التقوى والذل والانكسار، والتوبة والصيام والقيام، وقل مثلما كان النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول ((...أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))[1] النبي يقول هذا فكيف يكون موقفك؟!

لذلك كثير من الأحوال يقولون لك للأسف: نرى أن التشيُّع طريقًا لا بأس به! ونرى أن الخروج هو طريق الشجعان! نقول: لا تسمع كلامي ولا كلام أحد، إن كنت صادقًا ليس عندك إلا أن تنكسر بين يديه، تنذل له وتتَّقيه، ولا تكلِّمني عن المسألة العليا الجهاد، ابدأ بالذي بين يديك، التَّقي يصلِّي الصلاة في وقتها، اطلب منه، انكسر بين يديه، افعل العبادات المتوفِّرة الآن حتى ينير لك ويخرجك من الزيغ.

والله نرى آثار الزيغ واضحة على من هو قليل التقوى؛ رأى نفسه استقام وهو في الحقيقة دخل في بحر لا نجاة فيه، يتصوَّر نفسه أنه استقام لكنه غرق؛ والسبب أن مدخله للاستقامة مبنيّ على هوى.

مثل هوى الكلام على الناس، عنده هوى إظهار نقائصهم، لمَّا كان غير مستقيم كان يظهر نقائص الجيران والأصحاب، ثم استقام وعندما وجد من أهل العلم علماء الجرح والتعديل المحترمين الذين يتلقَّى عنهم الكبار-فيترك الدين كله حتى أنه قد لا يصلي الفروض في وقتها-ويذهب يجلس بين يدي هذا الشيخ ويقول له: ما رأيك في فلان!

دائمًا حين يُسأل الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-: ما رأيك في فلان. يقول له: هل حفظت القرآن؟! هل قرأت السُّنة؟! أولًا اذهب واحفظ القرآن وافهم وبعد ذلك اسأل هذه الأسئلة؛ لأن هذا هوى، شخص ما يستقيم لأنه يريد أن يستقيم ولا يسأل لأنه يريد أن يُنصح، بل في داخله مرض فيستقيم في ظاهر المسألة لكن اشباعًا لهذا الهوى فقط! وإلا فعلم الجرح والتعديل من العلوم التي تحتاجها الأمة لكن ليس لكل أحد، ولا من كان في قلبه مشاعر الانحراف وهو يأتي يشبعها في هذه الأبواب العلمية التي يجب أن تؤخذ بحقها ولا تؤخذ بهوى.

التقوى من فوائدها أن تخرج بنتيجة تمنعك أن تدخل للفِرَق وتزيغ إلى السبل؛ لأن الذي تتَّقيه-سبحانه وتعالى-سيجعل لك فرقانًا، سيصرف قلبك عمَّا يبغضه، سيحبِّب لك الإيمان ويزيِّنه في قلبك، سيجعل في قلبك دليل إلى كل خير، وهذا الدليل:

- إمَّا قدريًا يأتي بالأقدار التي تدور حولك.

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، 770

- أو شرعيًا، يظهر لك دليل شرعي يبيّن لك الحق.

قدريًا: أن يقدِّر الله لك أن يسخِّر لك جيران على منهج السُّنة، أن تتَّربى في مسجد أهل سنَّة، أو عالم ينشرح صدرك له وهو من أهل السُّنة.

من أهل السُّنة من يقول هذا القول الجميل: "إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسَّك-إذا بدأ في التديُّن-أن يقابل صاحب سنة يحمله عليها"، هذه من النعم العظيمة أنه شخص بدأ الاستقامة ووجد صاحب سنَّة يحمله عليها، فلو قابل صاحب بدعة في أول شبابه سيحتاج زمن طويل ليتغيَّر من البدعة للسنَّة، وهذا ما نجده اليوم في الشباب بعدما تربُّوا على الفكر الخارجي وتجده ما يأتي شيء إلَّا يذمَّه، الفكر الخارجي أصحابه في أي بلد كانت لا يقبلون حُكَّامها، لا يرضون عن أحد، بحجج، من أهمها أنهم يتكلَّمون عن الحكم بما أنزل الله إلى آخره، حين يرون أنهم غير قابلين للحكام، ماذا يفعلون؟ ليلهم ونهارهم يبحثون عن ثغراتهم ونقائصهم، فترى دين هذا الشخص سب أولياء الأمور! يقوم ويجلس هذا دينه، السَّب! وهذا لا تقبله النفس المستقيمة دينًا.

عندما نأتي للروافض نقول: أدلُّ ما يدل على خبث مذهبكم أن دينكم السَّب، أين هذا الدين الذي يأمرك قائمًا جالسًا أن تَسُب! فالخوارج صورة مقابلة، كرَّرنا عليه الكلام لكن لازالت هذه المشاعر تجذبه، وهذا خطر أن يتربَّى الشخص على يد منحرفين، لكن من هداه الله على يد أحد للحق لابد أن يطهِّر قلبه من الباطل.

من فوائد التقوى أن يحفظك الله من الزيغ، والزيغ أقرب ما يكون، بصورة ما تتصوَّرها، بين السُّنة والبدعة في مواقف كثيرة شعرة، بين انتهاج منهج السُّنة وانتهاج منهج البدعة شعرة، مَن سيحفظك منها؟ لا يحفظك منها إلا الله؛ لأنه كثير من الأحيان تأتينا مواقف تخصُّنا في اتِّخاذ القرارات تجد أن هذا الإنسان انحرف في تفكيره عن الصواب.

مثلا: امرأة نقول لها: إنَّ الزوج حقُّه عظيم. وقرَّرنا حقه. عادت للبيت قالت لزوجها طلِّقني! لا أستطيع أداء حقك! هذا زيغ في التفكير، لابد أن تتوازن، أنت أمامك نص ثاني يقول ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))[1] امشي بين النصين، هذا هو التوازن، كثير من القرارات تأتي بسبب رؤية نص واحد، ما أرى الثاني.

○ كيف تفيدك التقوى؟

إمَّا بتيسير أمر قدري أو شرعي.

1. **أمَّا القدري:** فتصاحب أحد يدلُّك على القرار الصائب.
2. **أمَّا الشرعي:** يذكِّرك الله أو تفتح كتاب تقرأ، أو تسمع في الإذاعة أو تسمع في درس بدليل يسبب لك التوازن في المشاعر فتعرف أن هذا حق وهذا باطل.

الزيغ ألا نرى إلا طريقًا واحدًا، كلَّما أردت أن تُقدم على قرار أو على تحوُّل؛ سواء كان فكريًا أو ميدانيًا عمليًا، دائمًا استهدي الله واتَّقيه، لينير لك ويجعل لك فرقانًا، سواء كان نورًا أو فرقانًا، سواء كان القرار واضح أو أمامي عدَّة خيارات يُفرِّق لي فيها.

(1) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

شخص يقول لآخر: ادعُ الله أن ينجح هذا الحج ويكون فيه بركة وأن ينجح مشروع القطار. وهذا من حق الحجَّاج ومن حق ولي الأمر الدعاء أن يوفِّقهم ويسهِّل للمسلمين. فليس لأني لست حاجًّا وليس لي علاقة بهم، لا أدعو لهم! بل هذه قربى إلى الله، فيردُّ بقوله: القطار الذي سرقوا فيه كذا وكذا! يتكلَّمون عن الأموال، تشعر كأنه كان معهم في البلدية أو في مجلس الوزراء حتى عرف الميزانية! يوجد من يلعب برأسهم ويُدخل عليهم معلومات، ولأنه يوافق هواهم يأخذها كأنها نزلت من السماء، يكلِّمك عن ميزانيات وأرقام كأنه كان معهم، ويتكلَّم عن حيثيات ودقائق لا يفهمها، أنت طالب في الثانوي أو في الجامعة متى أًصبحت مهندسًا أو متخصصًا في مثل هذا العمل!

توجد أقلام لها أجندة خارجية، أقلام مُشْتراه، يدسُّون السم في العسل ويكتبونه كأنه خبر، بل حتى أنهم ما تركوا العلماء وأئمة الحرمين!

طلبة يريدون أن يذهبوا جامعة القرى والتفتيش طويل، فتجده يَسُبَّهم طول الطريق لمصلحته، لو قيل له: هذا سيسبِّب لك شيء من مصالحك، أو سيوافقك، يرضى. أمَّا إذا لم تكن له مصلحة، فلا مشكلة، لا مشكلة أن تذهب مصالح الناس، أنا ومن بعدي الطوفان!

قبل أحداث العراق كنَّا نطرح موضوع طاعة ولي الأمر، بقدر ما كانوا لا يقبلونه، الله حكيم، نسأله أن يرفع عن إخواننا في كل مكان وخاصة في العراق وفلسطين؛ لكن كأنه كان درس ومع ذلك ما انتفع به كثيرون، يريدون إعادة نفس القصة مرة أخرى؛ لذلك الأسوياء فكريًا هم الذين يعلمون أن الرزَّاق هو الله وأن الذي يشرح الصدور ويُبقي البركة في الأموال هو الله.

تجد أنَّ دَخْلُ الفرد اليوم مقابل دخله قبل 30 سنة لا يقارن، ومع ذلك **أين البركة!** الموظفون نصف الشهر أو أكثر قليلًا وهم لا أموال لهم، لماذا؟ **النَّهْم وحب الدنيا**، كل هذه مشاكل أذهبت بركة الأموال؛ غير المعاصي والذنوب واستخدامها في غير ما يرضي الله، وعمليات مشبوهة، غير التفاخر والربا وإرادة العلو والاستدانة بطريق لا يلزم.

كل هذه تصرفات شخصية ليست من تصرفات ولي الأمر أذهبت البركة، وإلا فأهل جدة يعرفون ماذا كان الريال سابقا، وليس المائة أو الألف.

على كل حال، كل هذه الظواهر سببها عدم التقوى، لو كان الإنسان عنده تقوى؛ يعلم أنه سيحاسب يوم القيامة ويأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى تفنى حسناته فيؤخذ من سيئات هؤلاء فيُطرح في النار، هل الكلام عن المسلمين هكذا سائر وليس لأحد حق؟!

- **الفائدة الثالثة عشر:** سبب **لنيل رحمة الله، وهذه الرحمة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة:**

– قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}[1]

انظر ثلاث كلمات:

1. وصف نفسه بالرحمة.

(1) [سورة الأعراف: 156]

2. ثم وُصفت هذه الرحمة بالسعة، إذًا رحمة واسعة.

3. السعة وُصفت بما يدل عليها بما يزيدها بيانًا، ما هو هذا الوصف؟ (كُلَّ شَيْءٍ).

لِمَن يا ربنا هذه الرحمة؟ {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}؛ إذًا أهل التقوى هم أهل الرحمة، أهلها أي: المستحقِّين لها في الدنيا قبل الآخرة.

⇐ ما هي الرحمة التي ستنزل عليهم في الدنيا قبل الآخرة؟

أمَّا رحمة الآخرة فظاهرة وما يحصل في عرصات يوم القيامة من رحمة أهل التقوى، لكن الإشكال فهمنا للرحمة في الدنيا، **كيف تكون مرحومًا في الدنيا؟**

نذكر بعض مظاهر الرحمة في الدنيا، أوَّلها وأهمها:

- **سِعَة وانشراح في الصدر**، الرحمة كلها دائرة عليك أنت وليس على ما حولك، ليست اتِّساع في المنزل وكثرة أكل، الرحمة الحقيقية شيء يخصُّك أنت كشخص، أينما كنت معك الرحمة.
- من آثار الرحمة: **ألمٌ حال الذنب**، لكن الألم هذا متى يأتي؟ حال الذنب، أي: يرحمك الله بأن يجعل قلبك يشعر بألم الذنب.

مثلًا من رحمة الله ارتفاع درجة الحرارة لو كان الإنسان مريضًا، بعض الآلام، هذه رحمة؛ لأنها ستشير إلى مرض، فلا يأكل المرض البدن والإنسان لا يدرك ماذا يترك وماذا يفعل، تصوَّر هذه الصورة وقِس عليها حالة القلب، إذا كان البدن ميت لا تظهر عليه هذه الآثار: لا ارتفاع الحرارة ولا أي آلام، لكن تعال إلى القلب؛ من الرحمة أن تشعر بألم في قلبك لمَّا ترتكب ذنب.

وقتما تُذنب في حقِّه-سبحانه وتعالى-وتقصِّر في الحقوق ولا تقوم بحقوق الخلق التي أمرك الله بها ذاك الوقت تشعر بألم، هذا من الرحمة لأنه يسبب لك التوبة والعودة.

مثلًا فلانة على خصام معي وأراضيها ولا ترضى، فكتبت لها رسالة قلت لها: (أعتذر عمَّا صدر مني) وكتبت رسالة الاعتذار حتى حين يسألني الله ماذا فعلت في حق أخاك أو أختك أقول: اعتذرت بما أستطيع، يحرك هذا ألم؛ لأنك خائف حين تلقى الله ماذا تقول له!

- من آثار الرحمة **بقاء همُّ اللقاء**، همُّ ليس بمعنى همٌّ وغمٌّ بل همٌّ من الاهتمام، بقاء الاهتمام باللقاء؛ ولذلك من رحمة الله أن تكون فيك خالصة ذكرى الدار، هذا أمر نسأل الله أن يوفِّقنا إليه، هو للأنبياء والمرسلين وبعدهم من الأولياء والصالحين أن يكون ذكر الدار دائمًا على بالهم مستعدِّين لها، هذا من آثار الرحمة؛ أن تكون للقاء المهم العظيم مستعدًا، تحمل همَّه، تفكِّر فيه، وكلَّما فعلت شيئًا أعددت لكل سؤال جوابًا: لماذا فعلت كذا؟ يكون عندك جواب تقوله.
- من آثار الرحمة: **الرضا عن الله**، فتجد المرحوم الذي نزلت عليه رحمة الله مسبِّحًا حامدًا ذاكرًا، لا يتكلَّم عن الله إلا وهو يُثني عليه، لا يتكلَّم عن عطايا الله إلا وهو قابلًا راضيًا عنه-سبحانه وتعالى-.
- ومن آثار الرحمة: **حول وقوة في البدن لطاعته**، وهذا أثر عجيب.

الله–عزَّ وجلَّ–يُعطيك حول وقوة على قدر تقواك وبقاءك عند بابه وذُلِّك له، تُعطى حول وقوة على طاعته، فمن رحمته بك أن يُعطيك حول وقوة على الطاعة، ومن سخطه على أهل المعصية أن يعطيهم حول وقوة على المعصية، لا يعصي أحد الله–عزَّ وجلَّ–إلا بإذنه، لا تتصوَّر أنه يعصي بحول وقوة منه، لا، الله غير راضٍ عنه، صحيح، لكن الله–عزَّ وجلَّ–حين يُقبل العبد عليه، يُقبل الله {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[1]، الصنف الثاني: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}[2]، أعطاهم حول وقوة ومواقف وأحداث تزيدهم زيغًا، وهذا حقًّا ما نخافه، حقًّا نخاف أن يزيغ العبد ثم تُفتح له أبواب الزَّيغ ثم ترى قلبه مُغلق عن الحق.

- من آثار الرحمة: **أن يكون العبد سببًا للبركة**، مُبارك على مَن حوله.

إذا رحمك الله تدخل عند هذا فتنصحه فتُصلح بينه وبين زوجته، إذا كنت مرحومًا كنت مباركًا، تقابل هؤلاء فتقول لهم قولا ينفعهم في حياتهم وآخرتهم، تدخل على هؤلاء فتشرح صدورهم بزيارتك لهم، تجد نفسك شخص يومك كله بركة، أحداث تنفع بها نفسك والآخرين، هذا من آثار الرحمة، من رحمته بالعبد أن يجعله مباركًا، تصوَّر يومك بساعاته كله سبب للبركة على نفسك وعلى الناس أكيد أنَّ هذا من فتح أبواب الطاعة العظيمة لك.

- أيضا من آثار الرحمة: **القناعة**؛ انصراف الهمُّ للآخرة والقناعة من الدنيا، فلا تكون طماعًا، الذي يأتي تستمتع به، والذي لا يأتي لا تتحسَّر عليه، لا يقال لك: رزق أتاك من باب حلال لا طلب فيه ولا ذُل لغير الله، لا يقال لك: لا تستمتع به. لكن لو ما أتى لا تستعمل أسلوب الإلحاح والكدر على مفقود، هذا تصرُّف عقل ناقص، كأولادنا عندما يطلبون ولا نأتي لهم، ينسون كل ما فعلناه لهم وعندما تسألينه: ما به؟ يرد عليكِ أنكِ لا تحبينه ولا تأتي له بما أريده! في قلبي اتجاه الابن أنه نكَّار، طيلة الأيام أفعل لك هذا كله وعلى مأكول ومشروب أو مِرْسام ما أتيت به لك أصبحت لا أحبك! ترضى عني حين أعطيك وما ترضى عني لمَّا ما أعطيك! هذا ليس حبًا حقيقيًا بل حب مصالح.

مثل هذا يجعل العبد مكدَّر؛ لأن الحياة ما جُبِلت على صفو بل على كدر، والإنسان فيها في كبد، لا يمكن أن يكون رضاك على حسب ما يرضيك.

إذًا من رحمة الله بالعبد الرحمة الخاصة: أن يجعلك لا تطمع بالدنيا، أي: لا تتكدَّر لفقدها، لا يأتي يوم تنام وأنت ضجرًا لأنك لم تشترِ شيئًا من الدنيا، أو لأنك لم تَزُر فلانًا زيارة إيناس فقط وليس زيارة مريض، شيء تريده أنت من الدنيا، لا تقضي ساعات حزن على منع شيء من الدنيا، هذا من رحمة الله بك.

من رحمة الله لك أن تصل إلى هذه الدرجة من القناعة، هذا الكلام يزيد كلَّما زاد عمر الإنسان، يزيد آثار هذا النوع من الرحمة على العبد، وليس شرطًا أن يكبر العمر والطمع في الدنيا يقل، يوجد عكس ذلك كما ورد في صحيح البخاري في كتاب الرقاق، قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((لاَ يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ))[3]، يزيد طمعه، ليس كل الناس زيادة أعمارهم سبب لتركهم الطمع، الذي يكون في قلبه تقوى تنزل عليه الرحمة، ما أثر

---

(1) [سورة محمد: 17]

(2) [سورة الصف: 5]

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه، 6420

الرحمة؟ يقل طمعه، لكن هل هذا يعني أن كل من كبر عمره قل طمعه؟ لا؛ لأن الشباب دائمًا يقولون لكبار السن: عمرك كذا وما زلت طمَّاع؟! ومازلت تريد أن تلبس؟! لكن الكبير الذي ليس في قلبه تقوى تجده طمَّاع ويشعر أنه لا بأس به وممنوع على الشباب أن يلوموه، لا هذا صواب ولا هذا صواب، لا الشاب حقه أن يلوم ولا الكبير حقه أن يطمع، المفروض أنك مستدبر للدنيا مقبل للآخرة كلَّما كبرنا، المفروض عقلًا أن ينقطع الطمع، لكن ما يحصل عكس ذلك لمن لم يكن في قلبه تقوى ولا آثار الرحمة.

- من آثار رحمة الله على قلبك: **أن ينقطع الإلحاح منك على الدنيا.**

هناك أشخاص مبتلون في طباعهم بالإلحاح، أنت شَخِّص نفسك، لو لقيت نفسك من هؤلاء الأشخاص أنك ما ترتاح إلَّا حين يأتي لك هذا الغرض، جاهد من أجل لا يكبر معك الطبع فلا تستطيع التخلُّص منه في تقدُّم عمرك، لابد من معالجات، لا تكن لحوحًا على الدنيا، إذا تريد أن تلح لِح على أمر الآخرة، إذا كانت عندك طاقة إلحاح؛ اصرفها لأمر الآخرة، المفروض يكون تفكيرك متى أحفظ القرآن؟ أخطِّط له، أو مسائل تتصل بعملك الخاص لابد أن أنام مبكرًا لأقوم، لابد أن أنظِّم وقتي لأقرأ حزبي، لابد أن لا أنسى الأذكار، ويوجد أشخاص ما عندهم صفة الإلحاح، يعني الذي يأتي، يأتي. والذي ما يأتي، ما يأتي. فهؤلاء يتعبوننا من جهة أخرى؛ أنهم حتى في الآخرة ما عندهم كثير عناية، نحن لا نريد هذا على الشطط ولا هذا على الشطط، نريد التوازن.

- من رحمة الله: **أن تذبل الدنيا في قلبك.**

ولو جاءت الدنيا استمتع بها، لست ممنوعًا من الاستمتاع، وأنت تمثِّل الدنيا كالتالي: مثلًا سافرت على حساب أحد وذهب بك لفندق جميل وأكلت وشربت، وانتهت المدة وخرجت هل ستأخذ الحائط معك؟! لو حملنا باقي الأكل سيخرب، وهذا الفندق جميل ماذا تفعل حتى يبقى استمتاعك به؟ لا شيء، هل أصوِّره ثم أنظر وأقول يا حسرتي؟! وهذه الكلمة بالضبط يقولها الإنسان حين يغادر الدنيا! ليست الحسرة على ما كان فيها لكن لأنه لم ينتبه إلى أين يذهب، ذكرى الدار غير موجودة في عقله، فمن رحمة الله أن تذبل الدنيا وتزهو الآخرة.

- من آثار الرحمة: **تحبيب الإيمان وتزيينه في القلب، وتبغيض الكفر والفسوق والعصيان.**

ستجد هذه النقاط قريبة من بعضها في المفهوم؛ ولذلك لو فهمتها تفهم لماذا ابن تيمية قال "**جنتي في صدري**" لماذا جنته في صدره؟ لأن آثار الرحمة هنا، في قلبك وليس فيما تملك حولك، حين يتسع عليك القلب تكون شاكرًا، حين يضيق عليك البيت صدرك منشرح، هنا منشرح وهنا منشرح، عن ربك دائمًا راضي؛ لذلك يأتيك الحج ليقال لك: انظر للدنيا مثل هذه الأربع أيام هنا تنتقل وهنا تخرج وبعد ذلك تأتي كلمة انتهى الحج مثل كلمة انتهت الحياة.

تتنقَّل وتتنقَّل، أحسنت يساوي فُزت، ما أحسنت يساوي خسرت، وفي النهاية لابد أن تنتهي الحياة كما ينتهي الطواف والسعي، حين تسعى، لابد أن تقف بعد **7** أشواط، وهكذا حين تسعى للدنيا لابد أن ينتهي سعيك، لكن إلى من تسعى وتحفد؟ ما مقدار سعيك لله أو سعيك للدنيا؟ أنت تمشي في المسعى ساعيًا لربك وغيرك يسعى في الدنيا، نفس

المسافة، لكن أنت ترتفع درجاتك إن كنت مخلصًا وذاك يسعى للمنكر ففي الدَّركات ينزل. الحياة بنفس الصورة، الناس فيها سواسية يتقلَّبون فيها، لكن في النهاية إلى أين يذهبون؟ هذا علمه عند الله وآثاره ظاهرة في الدنيا؛ على قد ما يشرح الله الصدور والقلوب من أبواب للعلم والطاعة والخوف والرجاء.

لا زلنا نتكلَّم عن آثار التقوى على المتَّقي، نعيد السؤال مرَّة أخرى: كيف أكون شخصًا متَّقيًا؟

الجواب: محتاجين لثلاثة أركان حتى أكون شخصًا متَّقيًا، ما هي؟

1) العلم.
2) المحبة والخوف والرجاء.
3) العمل أو الترك.

بهذا الترتيب تسير المسألة، كلَّما زدت علمًا ووقع العلم في القلب وليس في الأوراق والأقلام! مكان العلم الذي يصلح الفؤاد هو أن يكون القلب خاليًا له، ثم إذا وقع العلم تأتي المحبة والخوف والرجاء؛ لذلك قاعدة العلوم أن تتعلَّم عن الله، تعرف من ربنا الذي تسعى إليه وتحفد؟ ولذلك يسأل النبي-صلى الله عليه وسلم-الأعرابي: ((أتدري ما الله))، لو كنت تعلم من هو الله كان قلبك امتلأ حبا وخوفا ورجاء، وذاك الوقت عملًا أو تركًا؛ ولذلك أوَّلها وأهمها وقاعدتها (اعلم رحمك الله)، هذه القاعدة التي يبنى عليها كل شيء بعده.

أكثر القُرب إلى الله فاعِليَّة وله أثر في حياة المسلمين هو نشر العلم، اليوم المسلمون حقًا في حاجة شديدة لنشر العلم على جميع الأصعدة وبكل الطرق مِن صغيرهم لكبيرهم، والعلم الذي يصل للقلب لابد يكون مبناه القرآن والسُّنة، فلابد من نهضة علمية ليست دنيوية والدنيوية تابعة، لابد من فهم كلام الله ورسوله، نحن نتقن أشياء كثيرة ونعلم أن عندنا ضعف شديد في فهم تدبر كلام الله ورسوله.

أهل الإسلام يشتركون كلهم في أنهم يفعلون ويتركون لكن لا يشتركون في أنهم كلهم أهل تقوى، المتّقي يشترك معهم في أنه يفعل ويترك لكن يفارقهم في أنه يحب ويخاف ويرجو؛ وحبه وخوفه ورجاؤه مبني على العلم، كل المسلمين يعملون، وعلى هذا كل المسلمين أتقياء ؟! كلهم يشتركون أنهم يعملوا الطاعات، ما الفوارق؟ عمل الأتقياء مبنيٌّ على المحبة والخوف والرجاء المبني على العلم، لكن تجد ناس يعملون تقليدًا، تجد ناس يعملون بناءً على العلم لكن لا يوجد في الوسط المحبة والخوف والرجاء، فتجده عند أي رياح ينكسر، وهذه الأنواع كلها ذكرت لك في سورة الحج، ذُكر لك

- {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} لا يوجد خوف ولا رجاء ولا فهم، يصلّي ويقوم لكنه على حرف! {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ}[1] هذا الشخص لا يعرف ربه ومن ثم ما وقع في قلبه المحبة والخوف والرجاء.
- أيضًا هناك صنف آخر {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ}[2] في قلبه كِبْر، إلى آخر الأوصاف.

(1) [سورة الحج: 1]
(2) [سورة الحج: 8]

فأنت إمَّا أن تكون تقيًا أو أحد من هذه الأصناف، فيه صنف يعمل من غير محبة وخوف ورجاء فيسقط، وصنف يجادل، أخذ قرار أنه ما يعمل، لو رسمت دائرة (المسلمين) سترسم دائرة الأتقياء في داخلها، ما صفتهم؟ يزيدون عمَّن عنده وصف الإسلام بالعلم والمحبة والخوف والرجاء، ويشتركون معهم في العمل؛ ولذلك لما وُصف أبو بكر-رضي الله عنه-في وصف-هناك كلام في ثبوته-الصحابة قالوا: "ما سبق بكثير عمل، سبق بشيء وقر في قلبه" ما هو الذي وقر-استقر في القلب -؟ المحبة والخوف والرجاء، ناتج من العلم.

ليس كل علم نافع لأصحابه، قد يتعلَّم الإنسان ويكتب في أوراقه وقلبه غير مفتوح، إذًا لابد أن يكون هذا العلم مسلكه مباشرة إلى القلب، كيف؟ هذه تحتاج لوحدها لمبحث وفهم دقيق؛ لابد لكي يكون العلم نافعًا أن يأتي لك بالحب والخوف والرجاء، كيف التوازن بينهم؟ كيف أفهم بالتفصيل؟ هذه أيضًا تحتاج لوحدها مبحث، كيف يكون العمل والترك؟ هذه أيضًا قضية لوحدها.

أصبحت التقوى تحمل هذه الثلاث قضايا الخطيرة التي كل منها لوحدها تعتبر مبحث مستقل:

كيف القلب الطاهر يستقبل العلم؟ ما أنواعه ما أقسامه؟ ما أساس العلم؟ على ماذا يُبنى؟ ما تفاصيل الحب والخوف والرجاء؟ كيف لا تضطرب فيه؟ كيف لا تَشُذْ؟ كيف لا تخرج إلى فرق؟ هذه أيضًا قضية، وبعد ذلك العلم والترك وتفاصيله والمحبوب والمفروض.

ثم تأتينا قضية مهمة في التقوى وهي المجاهدة، هذا أيضًا أمر يحتاج لكثير بحث، فنحن نقول اسم عام لقضايا كليَّة تدخل تحته، وهذه القضايا تُناقش مفردة.

باقي علينا أيضًا القواعد الفكرية التي تحكم لك مسألة المجاهدة، هذه مهمة جدًا، لكن أسأل الله الفتح والقبول.

〉 الفائدة الرابعة عشر: سببٌ لنيل معيَّة الله الخاصة.

من الاعتقادات العظيمة أن تعتقد أن الله مع عباده، وهذا ما نسمِّيه بـ (المعيَّة)، أهل السُّنة والجماعة يفترقون عن غيرهم من الفِرَق في صفات مِن أهمِّها صفة (الاستواء والعلو والمعيَّة)، وهذه الصفات تحتاج أن تفهمها جيدًا لأنها تمثِّل لك الصلة والقربى.

تفهم ثلاث أمور، وهذه الثلاثة أمور ستؤثِّر على ركوعك وسجودك، وقربك وذكرك بصورة ما تتصوَّرها، فإذا علمت أن الله على العرش استوى علمت أن لك رب عالٍ على عرشه، وعلمت أن السماوات والأرض في يمينه-سبحانه وتعالى-كخردله في يمين أحدكم، وعلمت أن هذا المُلك العظيم الذي تراه عظيمًا، السماوات والأرض بالنسبة للكرسيّ الذي هو موضع قدم الرب كحلقة في فلاة، أترى الريال المعدني أو أصغر منه، لو رميته في صحراء أين تجده في هذه الصحراء مقارنة بسعتها؟ لا شيء.

السماوات والأرض ما تدركها، الأرض ما رأيتها مرةً مجملة على بعض، ثم السماوات وما فيها من كواكب وما فيها من أجرام وما فيها من دروب كما يعبِّرون، كلها مع بعضها شيء أنت بنفسك ما تستطيع إدراكه، وربَّما يصور لك تصويرًا بسيطًا في الأفلام الوثائقية، يصوِّر للإنسان مَن هو بالنسبة للشمس؟ أرضه بالنسبة للشمس ماذا! وبالنسبة للمريخ

والمشتري! الأرض بحجمها بالنسبة لهؤلاء حجم لا يُذكر، ثم كل الذي نحن فيه، كل ما يسمُّونه بالمجموعة الشمسية لباقي النجوم والدروب شيء لا يُذكر، ثم كل هؤلاء بالنسبة للكرسي كأنك ترمي هذه الحلقة الصغيرة في صحراء كبيرة، فانظر إلى عظمته-سبحانه وتعالى-، ثم هذا الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، وربك أكبر؛ ولهذا لو لم تعتقد أنه على العرش استوى ذهب عنك هذا كله، فأنت وأنت ساجد تفهم هذين المفهومين معًا، أنه عال على خلقه، مستوي على عرشه لكن هذا لا يعني امتناع المعيَّة، بل هو معهم-سبحانه وتعالى-بعلمه وبرحمته وبقربه، لابد أن تتصوَّر القرب، فأنت شيء حقير وهو شيء عظيم، لا يمكن أن تتصوَّر أنَّ مانعًا يمنع اقترابك منه، لا تتصوَّر هذا أبدًا، فالسماوات والأرض في يمينه كخردله في يمين أحدكم، كيف يكون أحدكم محيطًا بخردله بيده؟ إحاطة تامة.

فهذه السماوات والأرض وأنت في داخلها، فهو محيط بنا إحاطة تامة، وقريب من عباده قربًا تامًا.

لكن المعيَّة نوعان:

1-معيَّة **عامة**: مع الخلق كلهم، محيط بأحوالهم. معهم بعلمه وبرحمته، وباطِّلاعه على ظاهر أمرهم وخاصته.

2-معيَّة **خاصة**: هذا الذي يهمنا لأهل الإيمان والمحسنين والمتَّقين. فما المعيَّة الخاصة؟ مثل الرحمة الخاصة.

- ما دليلنا على أن هذه المعيَّة تخص أهل التقوى؟

آية النحل {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}[1].

- ماذا يعني أن يكون الله-عزَّ وجلَّ-معك؟

(التسديد، الحفظ) هذه من آثار المعيَّة الخاصة، نكتفي بهذين الأثرين لأنهما ظاهرين والباقي يدخل في داخلها.

التسديد بمعنى التوفيق.

نبدأ بالكلام حول ما يصلح قلبك، ما يصلح دينك، ثم ما يصلح دنياك، أحيانا مِن التسديد ألَّا تنجح، فقد يكون استمرار نجاحك سببًا للعمى.

- لماذا يكون النجاح سببًا للعمى؟

الناجح يفهم هذا الكلام جيدًا، تصوَّر لو أنك ناجح طوال الوقت، أولًا سيصيبك العمى وتظن دائمًا أن قراراتك صائبة، سيختفي ما يسمَّى بِحَد الخطر، وأنا أمشي وأنجح وأنجح فأفهم أني دائمًا ناجح، ما يأتيني شيء يقول: احذر منه، خطر. بسبب استمرار النجاح.

الصورة الثانية:

أن الفشل داخل النجاح يسبِّب إعادة الأوراق والترتيب، لا يوجد أحد ابتكر شيئًا إلَّا بعدما فشل مرَّة، اسأل الناجحين وهم يفهمون هذا الكلام؛ لا يوجد أحد طوّر شيء إلا بعدما فشل مرَّة، كما يعبِّرون: الحاجة أم الاختراع.

عندما تريد أن تفسِّر التسديد والتوفيق لابد أن تفسِّره تفسيرًا صحيحًا، لا تنظر للموقف ناقصًا إنَّما انظر له كاملًا، فترى أنّ من تسديد الله لك في هذه المرحلة أنك ما استطعت أن تفعل، مثلًا: ما اشتغلت طابعتي، أو لم يشتغل الجهاز، أو ما اشتغل النت، أنت الآن تراه خيبة وهو مرحلة من مراحل التسديد؛ فلمَّا يكون الله معك تكون مسددًا، فلا يأتي شخص

(1) [سورة النحل: 128]

مستقيم على الطريق المستقيم وبذل جهوده ودعا ودعا، وفي أول مراحله خاب ثم يقول: هذه نتيجة الدعاوي؟! هذه نتيجة الصلاة؟! لا يستطيع ترجمة الحدث!

الأمر مجملًا سيكون فيه التسديد، لكن لابد أن تأتي هذه المرحلة التي تفشل فيها حتى يتَّجه تفكيرك اتِّجاه آخر، وحين تتجه اتِّجاه آخر تنجح.

المقصد من كل هذا النقاش أن تتصوَّر لو كان الله معك ستكون النتيجة التسديد والتوفيق، هذا التسديد والتوفيق لابد أن تستطيع ترجمته، لكن مشكلتنا أننا لا نستطيع ترجمة أفعال الله، ليس لدينا تلك الشفرة التي تجعلنا ننظر إلى أن رحمة الله تحيط بك.

مثال: يوسف-عليه السلام-لمَّا طلب من صاحبه في السجن أن يَذْكره عند ربه، أنساه الشيطان، لكن حين أنساه الشيطان كانت هناك حكمة للرحمن، تصوَّري الفارق بين خروجه لو أَخْبر صاحبه الملك بقصَّته والفارق بين خروجه على الحال التي كانت، عندما يذهب صاحبه للملك ويحكي له أنه حصل وحصل وأننا رأيناه محسنًا ستكون المنَّة للملك وسيكون إخراج الضعيف للضعيف، ثم سيخرج ويذهب في حال سبيله، يخرج ويرجع إلى بلده، لكن خرج بحال سبَّبت له أن يكون هو الملك على حقيقة الأمر، صحيح أن النسيان كان من الشيطان لكنه كان بتقدير الرحمن.

سيأتيك رزقك في الوقت المناسب.

وهذه من معاني اسم اللطيف، أنه يسوق الخير من أضيق أبوابه، من الأماكن الضيقة ويأتي به في زمن ينفع به صاحبه أنفع ما يكون، الرحمة أن يأتيك الرزق لكن اللُّطف نوع من أنواع الرحمة دقيقة، يأتيك الرزق من مكان ضيق ما تظن أن سجنًا يؤدي إلى مُلك أبدًا، فيأتيك الرزق من أضيق مكان، وأيضًا هناك شيء آخر مهم (وفي الزمن المناسب).

في الزمن المناسب ابني يهتدي، في الزمن المناسب هذه المدرسة تصلح، في الزمن المناسب هذا الشخص يصل، في الزمن المناسب هذا الأكل يصل؛ ولذلك عندنا أخطاء كثيرة في انتقاد أفعال الله وعطاياه، أهم شيء أن تبني حياتك على حسن الظن به، هذه العبادة التي لا تنفك عنك أبدًا، أي تأخير وأي تقديم لابد أن الخير يُساق إليك من هذا، وهذه ترجمة-يوسف عليه السلام-للحدث، في آخر القصة قال: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ}[1]، أي: رأيت آثار لُطفه في كل فعله، لكن نحن عندنا القضية عكسية، نقول: هذا هو وقته؟! ليته تقدَّم قليلًا!

الله-عزَّ وجلَّ-يربِّي عباده بأرزاقه، فتُحرم من شيء له أبواب كثيرة، رزق، طعام، تُحرم منه وعندك جار وأم، ثم مرَّة واحدة يأتيك من هذه الأبواب كلها، فجواب الجاهل بربِّه: إما ما عندنا شيء أو أربعة خمسة! المفروض في موقف مثل هذا تبقى شاكرًا حامدًا مثنيًا على الله أنه علَّمك، أنه لابد بعد كل ضيق فرج وأي فرج! تأكل مالح من كم صنف، وتأكل حلو من كم صنف بعدما كنت أيامًا لا تجد شيئًا.

علاقتنا بالدنيا؛ ما أتانا منها استمتعنا به، وما لم يأتِ لنا مازلنا مستمعين بما معنا من صحة وعافية وسلامة في ديننا.

تفسير الأحداث من المؤكَّد سيُشعرك بمعنى المعيَّة، كيف يوفقك من جهة ويسددك، ومن الجهة الثانية يحفظك، كم من القرارات كانت ستسبِّب لك أن ينزلق قدمك! كم من المرَّات كنت ستذهب فتفشل؟ كم من الأحداث كانت ستسبِّب

(1) [سورة يوسف: 100]

لك زوال مالك زوال صحتك؟ في المقابل يحفظك في هذا كله كونك متَّقي؛ يكون معك المعيَّة الخاصة فتوفَّق وتُسدد، ومن هنا تفهم حديث: ((كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))[1]، كم من المرَّات كسَّلك عن علاقة أو عن خروج وكان حفظك بهذا الكسل؟ وكم من المرَّات نشَّطك لمكان فكان صلاحك لهذا الخروج؟ وكم من المرَّات استثقلت لقاء شخص فتلقاه فيكون عنده من مفاتيح وفرج لم تكن تنتظرها؟ تجد أنَّ تاريخنا مليء؛ لكن مشكلتنا ننسى عطاياه، ما نجعل عطاياه أمام أعيننا، ما نجعل تجاربنا مسجلَّة.

للناس هوس أن يصوِّروا الأماكن والأشخاص، هوس في كتابة المذكِّرات! فصوِّروا الأحداث، اكتب حدثًا رأيت فيه رأفته ورحمته ولطفه؛ لطف بي ربي ففعل بي كذا وكذا، كنت في سفر فحفظ لي كذا، اكتبها في عقلك وقلبك قبل أوراقك، حتى كلَّما ضعفت في قلبك هذه المشاعر وكلَّما دخلت ضيق شديد ترى أنه في عام ألف وأربعمائة حدث لي في حياتي ما غيَّر المجرى وظننت أنه شر وأتى الخير كله من ورائه، لكن الشيطان ينسيك عطاياه، وهذه الغفلة عن التقوى.

الغفلة ضرر على التقوى، تجعل القلب غافلًا عن كمال صفات ربه، وما يستحقُّه-سبحانه وتعالى-من التعظيم والتبجيل والانكسار، والرضا بما قضاه.

› من آثار التقوى **أن العاقبة تكون لهم**.

- قال تعالى: {وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}[2].

فما العاقبة؟ هذا المفهوم يُكَمِّل المفهوم السابق، حتى تتصوَّره، العاقبة تعني النهاية.

- في الدنيا ماذا تعني العاقبة؟

أي: أنت تمشي في طريق مستقيم وبجانبك شخص يمشي في طريق معوج، أنت تمشي كالسلحفاة وهو يمشي كالأرنب، الصورة تقول: لابد أن يسبق الأرنب السلحفاة، والحقيقة تقول: ستسبق السلحفاة الأرنب إذا كنت من أهل التقوى، فصورتك عند الناس مثل هذه السلحفاة، وصورة المعوج عند الناس كالأرنب يجري، يقولون: انظر كيف طوَّر نفسه وكم بنى من عمارة وأنت جالس تقول: إيمان!

فتقول: **والعاقبة للتقوى**، على يقين أن العاقبة للتقوى، أنت كن على يقين أنك ما دُمت سائرًا فستمشي ببطء لابد، لكن مادام معك التسديد والتوفيق ومعك الله، النهاية لك في الدنيا قبل الآخرة.

ولهذا بيت صغير أنا وأولادي لكن نعيم وسعادة، أبناء وأحفاد والتقاء واجتماع وحب، وهناك بيت كبير لكن يخافون من العين، بيت كبير أولادهم لا يجتمعون، ولمَّا مات أبوهم تضاربوا على الميراث.

حتى في العلم، حتى في المناهج الفكرية، تجد نفسك ما زلت الآن تقرأ وتكتب وتسجِّل، وأحد زملاءك وصل لدرجة أن يخطب ويحاضر، فيقول لك: عَجِّل، فقط اقرأ كتيِّبات واقرأ وتكلَّم، أنت شجاع والناس أي شيء يقنعهم! وفي النهاية ماذا سيحصل لهذا؟ من المؤكَّد أن هذا السريع سيسقط، وأنت البطيء الذي قضيت 15 سنة تجمع وتكتب ستأتي اللحظة

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، 6502

(2) [سورة طه: 46]

التي تكون العاقبة لك، فتكون أنت الشيخ المحترم صاحب العلم؛ وهو الذي لا يُقبل منه لا كلامه ولا فكره، تخيَّل أن أهل التقوى هم أهل العاقبة النهائية في الدنيا قبل الآخرة.

مثال: زوجتين مع أزواجهم، إحداهن صبرت واحتملت فكانت العاقبة لها، والثانية استعجلت من أول الأمر فطُلِّقت فبقيت مشتَّتة، والاثنين سائرين في نفس الطريق وفي نفس أنواع الصعوبة، لكن شخص صبر فكانت العاقبة له واتقى الله فكانت العاقبة له، والثاني استعجل الأمور وما قبِل بأمر الله فأخذ قرار ليس في صالحه لأنه لم يكن سائرًا على خط التقوى فتعجَّل في قراراته.

دائمًا اجعل هذه النقطة أمام عينيك؛ لا تنسى المثل المشهور مثل السلحفاة والأرنب، وتصوَّر أن الناس ينظرون إلى هذا التقي على أنه لا يتحرَّك، وأن فاقد التقوى إنسان موجود له أثره، لكن سترى بعد ذلك العاقبة لمن.

أذكِّركم أن هذه الفوائد رسالة للشيخ ابن عثيمين–رحمة الله عليه–كتبها في فوائد التقوى ونحن نقوم بالتعليق عليها.

〉 **الفائدة الخامسة عشر: سببٌ لحصول البشرى في الحياة الدنيا، سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبَّة الناس له والثَّناء عليه.**

دليلنا على أن له البشرى، سبب لحصول البشرى:

– قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[1].

هو الآن يفسِّر كيف سيبشَّر في الحياة الدنيا، فقال: تكون له البشرى في الحياة الدنيا بأن يُرى في رؤيا صالحة أو يقع أن أهل الخير؛ الناس هنا مخصوصين ليس كل الناس؛ لأنه لو فقط محبة الناس سترى كثير من الفسَّاق محبوبين من كثير من الناس، لكن المقصود محبَّة أهل الخير والثَّناء عليه، فيكون العبد متَّقيًا لا يريد إلا وجه الله، يُذم في أول الأمر ويُتنقَّص ويراه الخلق أنه ليس ذا حظ، ثم تكون العاقبة له، العاقبة للتقوى، ويجد الإنسان بعد أن كان مبغوضًا يُصبح محبوبًا، بعد أن كان مرفوضًا يُصبح مقبولًا، ومثاله الواضح حين يأتي كثير من الأتقياء وترى بيوتهم أو أقاربهم.

هذه امرأة تقيَّة ولها أهل زوج، من أول الأمر وهي لا تقبل الاختلاط ولا تقبل الخروج إلى المنكرات–وهذا كله المفروض يكون بلطف، لا تقبل المنكرات ولا تخرج إليها لكن بهدوء ولطف–فتجدهم أول الأمر يذمُّونها وينبذونها ويشعرون تجاهها أنها أقل من باقي الموجودين، لكن لابد أن تعرف أن العاقبة للتقوى، نهاية الأمر تُصبح هي المحبوبة، وهي التي تُستشار، وهي التي تُسأل، وهي زوجة الابن البار، لكن ليس من أول الأمر.

– الانقلاب فيه مفهومين (العاقبة للتقوى) ومفهوم (البشرى).

أنت في أول الأمر اتَّقيت، حرصت على ألَّا تشتري خواطرهم على الدين، فنبذوك، ولابد من النبذ، نحن في غربة بسيطة، الناس اعتادوا على منكرات، فبينك وبينهم حاصل غربة، يرفضونك في أول الأمر لكن العاقبة لك ثم التحوُّل الشعوري والمحبة والثناء تُصبح لك، أنت تقول: سبحان الله كيف تتغيَّر أحوال الناس، وكم ممن عادى الدعوة للسُّنة وبغضها وبغض أصحابها جعلهم الله–عزَّ وجلَّ–آية في التحوُّل إلى محبتها، يعني كانوا في أول الأمر يحاربون هؤلاء الذين يحملون السُّنة ثم

(1)[سورة يونس: 63-64]

تتحوَّل قلوبهم فيقبلون السُّنة ويحبون أصحابها، وهذا من عاجل البشرى في الدنيا للشخص، لكن المهم هنا ألَّا تعمل لهذا، ما تتقي ليحبك الناس وتفوز في الأخير، **كن متَّقيًا للتقوى**.

لذلك لابد أن يختبرك الله، فكما جعل الله البداية للتقوى جعل العاقبة للتقوى، فما يثبت عليها إلا شخص يريد وجه الله.

أما **الرؤيا الصالحة** فالمقصود والله أعلم، أن تُرى في هذا الشخص رؤيا صالحة من صُلاَّح، يعني صالح يرى في التقي رؤيا صالحة سواء كان في حياة هذا الرجل أو بعد مماته، يُبشَّر التقي أو يُبشَّر عنه في الدنيا برؤيا صالحة يراها شخص صالح، أو يكون هذا الشخص الصالح سبب لاستقامة أشخاص لكن الطريق الرؤيا.

أضرب مثالا لتتصوَّروا: شخص غير مستقيم لكن يعرف أن هناك علماء وشخص اسمه الشيخ ابن باز–رحمه الله–وابن عثيمين–رحمه الله–والشيخ الغديان–رحمه الله–وهو نائم يرى رؤيا أن هؤلاء يدعونه إلى الاستقامة، يدعونه للطواف، يدعونه لطلب العلم، يدعونه لترك محرَّم فيستقيم بسبب الرؤيا؛ فهذا بشرى لمن رُؤيَ أيضًا، فكأنه من تقواه بُشِّر بنوع رؤيا في صلاح نفسه أو إصلاحه.

مثلًا مات وأحد الصالحين رآه في حال حسنة، هذه بشرى له، وهذا بعد مماته.

النوع الثاني: في حياته يُرى أنه في أحسن حال أو يُرى أنه يدعو للدين أو يُرى أنه متابع لسنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–هذا أيضًا نوع من البشرى في حياته.

الغالب في الاثنين هذه أن يكون الذي رأى نفسه صالح.

شخص غير مستقيم، فيه نوع من الفسق، فيقول لك: رأيت أن الشيخ ابن باز يقول لي: دَعْ عنك الدخان لأنه نتن، فيتركه ويتوب، بناء على الرؤيا، وهو عنده ابن باز شخص يمثِّل الدين، ورآه، لماذا صُور هذه الصورة وكان هذا الأثر في قلبه؟ هذا من البشرى للشيخ.

- **بشراه في الدنيا:**

أن يراه صالحين في حياته أنه يسير خلف النبي–صلى الله عليه وسلم–وأنه يَذُب عن النبي–صلى الله عليه وسلم–الذباب، مثلما رُؤي للبخاري أنه يَذُب عن النبي–صلى الله عليه وسلم–الذباب، ففُسِّر أنه يذب عن السُّنة أهل الشر ويكون سببًا في حفظها، فهذه رؤيا من صالح لتقي، كانت بشرى للتقي في حياته، بشرى للبخاري التقي، بعد موته رُؤي أيضًا البخاري في حال حسنة، هذه أيضا بشرى له، بشرى للناس في الحياة الدنيا عنك أو في حياته أو بعد مماته للناس بعده.

الحالة الثالثة: هذه يراها شخص غير مستقيم؛ وهي أيضًا نوع من أنواع البشرى، أن يكون الشخص غير المستقيم يرتكب منكرًا ويرى رؤيا؛ أن تقيًّا–من المشهورين بتقواهم–يأتي ينصحه بنصيحة ويستجيب هذا النائم الذي في حُكم الفاسق، فهذه بشرى للصالح أنه من كثرة صلاحه وتقواه أنه أصبح واعظا حيًّا وميِّتًا، في اليقظة والمنام.

〉 الفائدة السادسة عشر: **التقوى سببٌ في عدم ضياع الأجر في الدنيا والآخرة.**

- قال تعالى بعد أن مَنّ على يوسف عليه السلام بجمع شمله مع إخوته: {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[1].

التقوى والصبر مع بعض اسمهم إحسان {فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}، فسمَّاهم محسنين، ما الفائدة؟ عدم ضياع الأجر، ماذا يعني؟ هل يمكن أن يضيع أجر أحد؟ لا، إذًا لماذا أصبحت فائدة تخص التقوى؟

أن تعرف أنَّ أي أحد من أهل الإسلام لو عمل عملًا لن يضيّعه الله، ما دليلك؟ {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}[2]؛ دليل واضح لكل الناس من يعمل مثقال ذرة خير يراه.

- **لماذا خُص هؤلاء المتّقون بأنه لا يضيع أجرهم؟ بما أن كل الناس لا يضيع أجرهم فما الفائدة من تخصيصهم؟**

أولًا لابد أن تتصوَّر أن هناك مُفسدات للعمل؛ تسبِّب أن الإنسان يبذل جهوده ثم يضيع. المُفسدات حين تدخل على عمل العبد وُصفت مثل الحديقة؛ التي تكون مُزْهِرة ثم يأتي إعصار فيه نار فيحرقها، هذا المثل في سورة البقرة يقول الله تعالى: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} وهو ما حالته؟ {وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء} ماذا يحصل لها؟ {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ}[3] لو قُدِّر أن أحدًا سيموت حزنًا، سيموت هذا!

وهذا بالضبط مثل شخص بذل واجتهد وزرع، ثم أتى بالمُبطلات فأفسد عمله، هناك مُبطلات تُفسد العمل، في سورة الإسراء قال الله تعالى: {إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا}[4] وهذه الآية عظيمة تحتاج منك إلى فهم دقيق وهي نفس هذا الفهم هنا؛ إذا كنت صالحًا، إذا كنت تقيًا، إذا كان منهجك في الحياة التقوى، إذا كنت كثير المجاهدة، وطاولات النقاش في داخلك دائمة سائرة، وحصل منك هفوة، حصل منك غلطة، حصل منك إفساد للعمل، كيف سيعاملك الله؟ {إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا}، لن يجعل عملك يَفسد بسبب هفوتك، سيعاملك باسمه الغفور الشكور، والذي لا يكون متَّقيًا ستفسد أعماله؛ أتى بالمحبط فأحبط عمله.

إذًا الذي يكون منهجه التقوى، وكثرت مجاهدته ومجادلته لنفسه، ومقاومته لهواه فيصبح صالح، فإذا أصبح صالحًا فإنه-سبحانه وتعالى-كان للأوَّابين غفورًا، فأسرع توبة أسرع رجعة، ستكون سببًا في إصلاح هذه الهفوة، ولهذا لابد أن تفهم مَن بقي يجاهد لا يمكن أن يخذله الله، لابد أن يسدِّده وينصره على نفسه وهواه، وعلى ذلك لا ينقطع جهادك أبدًا، ما تيأس من روحه أبدًا، لا تقول: أنا هذا الذنب لي 10 سنين أجاهد وأتَّقي الله وأدفعه ويرجع لي مرة أخرى! لا تقل هذا، جاهد واتَّقي الله وادفعه وإن عاد إلى أن تموت، والله-عزَّ وجلَّ-يرى منك مجاهدة؛ لأن من يهاجر في سبيل الله لو مات قبل أن يصل فقد وقع أجره على الله.

---

(1) [سورة يوسف: 90]

(2) [سورة الزلزلة: 7]

(3) [سورة البقرة: 266]

(4)[سورة الإسراء: 25]

تصوَّر أنك مثل هذا الذي يهاجر فلا يصل، تجاهد فلا تصل، فقد وقع أجرك على الله، فقد وقع أجره على الله، المهم تموت وأنت لازلت تجاهد، إذا صدقت التوبة، فمن آثارها أن الله يمحوها من عقول الخلق.

〉 الفائدة السابعة عشر: سبب لحصول الهداية.

إذا كنت متقيا اهتديت بالقرآن، ذكرنا المرة الماضية أن هناك 4 درجات للعلم:

أوله: المعرفة، ثم: الفهم الدقيق، ثم: التطبيق، ثم: التعزيز.

التعزيز يصل لحد أن تدعو إليه، {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[1]، أي منهم ستكون؟

كل الناس يشتركون في المعرفة، وهاهم يدرسون في المدارس ويعرفون كتاب التوحيد، لكن الفهم الدقيق الذي يسبب التطبيق هذا هو الهداية، الهدى نفسه درجات لكن مبدؤه ورأسه الفهم الدقيق.

ولذلك كثير من الناس تقول لهم: تعال أريد أن أشرح لك سورة الفاتحة. فيقول لك وما الفاتحة؟ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{2} الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[2]، نعرف رحمة الله ونعرف يوم الدين! {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} يعني نعبد الله، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[3] يعني نقول: يا رب أعنَّا، هذه مرحلة المعرفة، اليوم يشترك كل من يقرأ في مرحلة المعرفة، الزمن الماضي كان التمايز يسير، انتشار القدرة على القراءة ليس دائمًا في صالح الناس، لو انتشر العلم بالمصطلحات الطبيَّة، كل الناس صاروا يعرفون المصطلحات الطبية. فسيصبح كل الناس أطباء، وانظر ماذا يمكن أن يحدث حينها لو أصبحوا أطباء، هذا بالضبط مثل طب القلب، كل الناس يتكلَّمون في الدين! وهذه المرحلة اسمها مرحلة المعرفة، يشترك فيها كل من يستطيع القراءة، لكن متى تكون الهداية والفهم الدقيق؟ حين تكون أنت متَّقيًا يأتيك الفهم الدقيق.

أي: لابد أن تبدأ المسألة بالمعرفة؛ لأننا اتَّفقنا أن العلم ركن من أركان التقوى، تعلم، تعرف. لكن تعرف معرفة تريد منها الصلاح، لمَّا تتعرَّف هذه المعرفة وتُصبح تقيًّا، كلَّما زدت تقوى زاد فهمك الدقيق؛ ولهذا لا ترى أهل العلم الراسخين إلَّا لامِعين في عقلهم، أَلْمَعي كما يعبِّرون، غاية في الذكاء، التقوى كانت رصيد له ليفهم فهما دقيقًا؛ أول ما تطرح عليه مسألة يستطيع ترتيبها في عقله ويأتي بأصولها، من الفهم الدقيق، وترى هؤلاء حكماء، والله ما يشيروا عليك برأي إلَّا يجعل الله البركة في رأيهم.

في أحيان كثيرة يُسأل أهل العلم في الممرات وفي الحرم فيرد عليك رد، ويجيب طالب العلم جوابًا يصلح عليه أمر دينه ودنياه، وكلها كلمة، لكن التقوى تأتي بالتوفيق، يكون الله معك، التقوى هذه بالتوفيق، والله ما تشير لأحد بإشارة إلَّا تكون سببًا لصلاحه في الدنيا والآخرة، افهم أن التقوى تسبب لك الهدى، ليس كل من سمع الدليل والقرآن اهتدى به، أحيانًا تأتي لمجموعة من الناس يقولون: (نريد أن نتعلَّم) فتعطيهم المحاضرة والاثنين والثلاث والأربعة، ما يخرج من هؤلاء كلهم إلا شخص واحد، هو ابتدأ أصلًا بالتقوى ويريد، فيفتح الله عليه ويسبِّب له أسباب الاتِّصال بالطلب والعلم والاستقامة من حيث لا يحتسب، لماذا ؟ لأن **في قلبه تقوى**.

---

(1) [سورة البقرة: 2]

(2) [سورة الفاتحة: 2-3]

(3) [سورة الفاتحة: 5]

ليس كل من سمع العلم نفذ لقلبه، تحتاج التقوى من أجل أن تهتدي.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهت لقاءات التقوى ولله الحمد .

الفهرس

اللقاء الأول..... - 1
اللقاء الثاني ..... - 27
اللقاء الثالث ..... - 53
اللقاء الرابع ..... - 73